التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في الكشاف للزمخشري

(ت ٥٣٨هـ)

رسالة تقدم بها

ضياء الدين دفع الله بخيت

إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذة المساعدة

الدكتورة /لطيفة عبد الرسول عبد الضايفي

ربيع الأول
١٤٢٥هـ

مايس
٢٠٠٤م

إقرار المشرف على الرسالة

أشــهد ان إِعــداد هــذه الرســالة الموســومة بــ(التوجيه النحــوي للقراءات القرآنيـة فـي الكشـاف للزمخشري) المقدمـة مـن الطالـب: ضياء الدين دفع الله بخيت قد جرى تحت إشرافي فـي قسم اللغة العربيــة/ كليــة التربيــة/ الجامعــة المستنصــرية ، وهــي جــزءٌ مــن متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع:

الاسم:

الأستاذة المساعدة الدكتورة: لطيفة عبد الرسول عبد

التاريخ:

بناءً على التوصيات المتوفرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

الاسم:

الأستاذة المساعدة الدكتورة: لطيفة عبد الرسول عبد

رئيس قسم اللغة العربية

رئيس لجنة الدراسات العليا

التاريخ:

شُكْرٌ وتقدِيرٌ

الحمد لله وحده.

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أمّا بعد:

فإني امتثالا لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لا يَشْكُر الله مَنْ لا يَشْكُر الناس"[1] أسجل هنا شكري وعرفاني بالجميل وتقديري.

أمّا شكري فلأستاذتي المشرفة على الرسالة، الأستاذ المساعد الدكتورة :

لطيفة عبد الرسول عبد

سلّمها الله ورعاها

على ما بذلته معي من جهد في قراءة الرسالة وإسداء النصح والتوجيه مدة الاشراف، جزاها الله عني كل خير.

فقد كانت–ولا أزكى على الله أحداً–حريصة كل الحرص على تجلية الحقائق العلمية، وضرورة إبرازها بصورة جيَّدة، مع توجيهي إلى دقة العِبارة، وسلامة التركيب، وصحة الأسلوب.

كما أسجل هنا تقديري للجهود المبذولة الكريمة التي تبذلها الجامعة المستنصرية عامة، وكلية التربية خاصة، لتيسير طريق العلم أمام طلابه، فجزاهم الله خيراً.

ولا يفوتني تسجيل شكري ودعائي لجميع أساتذتي، الذين أفادوني كثيراً، ولجميع إخواني، وزملائي؛ من أعارني منهم كتاباً، أو أبدى تشجيعاً، فلّهم مني كلَّ شكرٍ وتقدير، جزى الله الجميع خيراً.

[1] حديث صحيح، أخرجه احمد بن حنبل في المسند: ٢/٢٥٨، ٢٥٩، ٣٠٣.

المحتويات

المحتويات	الصفحات
المقدمة	أ-ت
التمهيد	١-٢٣
الفصل الأول (في مستوى الاسماء)	٢٥-٦٨
أ/المبحث الأول (بين الرفع والنصب)	٢٥-٣١
ب/المبحث الثاني (بين الرفع والجر)	٣٢-٣٧
ج/المبحث الثالث (بين النصب والجر)	٣٨-٤٣
د/المبحث الرابع (بين الرفع والنصب والجر)	٤٤-٥٠
هـ/ المبحث الخامس (ما قُرئ بالتنوين)	٥١-٦٠
و/المبحث السادس (ما قُرئ بترك التنوين)	٦١-٦٨
الفصل الثاني (في مستوى الافعال)	٦٩-١٠٢
أ/المبحث الأول (بين الرفع والنصب)	٦٩-٧٥
ب/المبحث الثاني (بين الرفع والجزم)	٧٦-٨١
ج/ المبحث الثالث (بين النصب والجزم)	٨٢-٨٨
د/المبحث الرابع (بناء الفعل للفاعل والمفعول)	٨٩-٩٤
هـ/المبحث الخامس (اسناد الفعل إلى الضمائر)	٩٥-١٠٢
الفصل الثالث (في مستوى حروف المعاني)	١٠٤-١٣٥
١/فتح همزة "أن" وكسرها	١٠٤-١١١
٢/ "من"	١١٢-١١٥
٣/ "لا"	١١٦-١٢٠
٤/ "اللام"	١٢١-١٢٤

المحتويات

٥/ "إما"	١٢٥–١٢٨
٦/ "ما"	١٢٩–١٣٠
٧/ "لما"	١٣١–١٣٥
الخاتمة	١٣٦–١٣٨
المصادر وامراجع	١٣٩–١٥٥

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وصلى الله على سيدنا محمّد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:-

فأن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وان العلوم إنما تنال شرفها بما تتعلق به، ولا شك أن القرآن الكريم هو أشرف الكتب.

ومن هنا فأن علوم العربية من أشرف العلوم؛ لأنها ما وضعت، و أَلّف فيها العلماء إلا لفهم كتاب الله تعالى.

فهو خليق بان تبذل في خدمته الجهود ويستوفي في بيانه غاية الجهود. وكان من فضل الله تبارك وتعالى عليّ أن درجني في مسلك المشتغلين بهذه اللغة المباركة وعلومها، ويسّر لي أن أكون أحد طلبة الدراسات العليا في قسم اللغة العربية بكلية التربية في الجامعة المستنصرية، لدراسة الماجستير، وقبل انهائي لمقررات السنة التحضيرية عقدت العزم على اختيار عنوان لرسالتي، طفقت منذ ذلك الحين استرشد بآراء اهل الاختصاص من اساتذتي الكرام حتى منَّ الله عليّ أن دلني أستاذي الجليل الدكتور عبد الرسول سلمان الزيدي على كتاب (الكشاف) للزمخشري، وذكر لي أنه يمكن دراسة التوجيهات النحوية واللغوية للقراءات الواردة فيه، وحثني على قراءته بتأنٍ واجالة النظر فيه، ولما رأيت ان التوجيهات النحوية واللغوية كل واحدة منهما تصلح لكي تكون رسالة قائمة بنفسها، فقد وقع اختياري على الجانب النحوي، عندها لم أتوانَ في تقديمه، فمثل هكذا موضوعات تعد فرصة طيبة للاطلاع على القراءات والآراء النحوية وما قيل في كل مسألة من مسائل النحو ؛ للتعرف عن قرب الحجج النحوية التي ساقها الزمخشري وهذه الأشياء وغيرها مما يكسب الباحث في العربية بعض الخبرة في القراءات و سبر غور النحو العربي.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن تقوم على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة...وقع التمهيد في ثلاثة محاور:-

الأول:في التوجيه النحوي، ومعناه، وتوجيه القراءات المتواترة والشاذة.

الثاني:في القراءات، ومعناها، وأنواعها.

الثالث: في الزمخشري وتفسيره (الكشاف).

وجاء الفصل الأول بعنوان: (في مستوى الاسماء) وفيه ستة مباحث: تناولت توجيهات الزمخشري للاسم حين يكون بين الرفع والنصب، وبين الرفع والجر، وبين النصب والجر، وبين الرفع والنصب والجر، وبين التنوين وتركه، وبين ترك التنوين والتنوين.

وكان الفصل الثاني بعنوان: (في مستوى الافعال) عرضت مباحثه الخمسة توجيهات الزمخشري للفعل حين يكون بين الرفع والنصب، والرفع والجزم، والنصب والجزم، وبناء الفعل للفاعل والمفعول، وإسناد الفعل إلى الضمائر.

امّا الفصل الثالث فكان بعنوان (في مستوى حروف المعاني) فتناول حروفا كفتح همزة(ان) وكسرها، و(إن) بين التشديد والتخفيف، و(من)، و(لا)، و(اللام)، و(إما)، و(ما)، و(لما). ثم بينت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

أما المصادر التي اعتمدت عليها وأفدت منها في دراستي هذه فتنوعت بين كتب النحو وتفسير القرآن وإعرابه وكتب القراءات.

لقد كانت لهذه الدراسة–كغيرها من الدراسات–صعوبتها، فهي خطوتي الأولى في ميدان البحث العلمي ولعل أبرز وأكبر هذه الصعوبات أنني أنجزت من الدراسة النصف قبل احتلال العراق، ولكنه تناثر رمادا عندما تعرضت الدار التي اسكنها للقصف ليلة دخول المحتل بغداد، مما جعلني أبدأ من الصفر. يزادُ على هذه الصعوبات خلوّ طبعات تفسير (الكشاف) التي استخرجت منها مادة الدراسة من ضبط الكلمات بالشكل، فضلا عن أخطاء سببها التصحيف والتحريف.

واني إذ أقدم هذه الرسالة لا انسى فضل أستاذتي الفاضلة الدكتورة (لطيفة عبد الرسول عبد) التي كانت معي في رحلة هذه الدراسة خطوة خطوة، حرصا منها على إخراجها بما يليق بشرف أول العلوم صلة بالقرآن، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...فلا بد أن أتوجه إليها بوافر الشكر عرفانا مني لها بالجميل فوفقها الله، واثابها عني بأحسن ما يكون الثواب...وأتوجه بالشكر الجزيل لكل من مدّ يد العون في سبيل

اتمام هذا البحث، ولأعضاء لجنة المناقشة الموقرة لتفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث.

فان أصبت فهو فضل من الله تعالى وتوفيقه، وان تكن الأخرى فمني، والله تعالى هو المرجو دائما أن يتجاوز عنا إن نسينا، أو أخطأنا، وهو سبحانه من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ضياء الدين دفع الله

المبحث الأول

في مفهوم التوجيه النحوي:

يقتضي البحث دراسة مفهوم التوجيه النحوي، بوصفه مصطلحاً تقوم الدراسة على أساسه، ولذلك سنتناول لفظة "التوجيه" لغةً واصطلاحاً.

التوجيه لغة:

التوجيه مصدر الفعل الثلاثي المضعّف العين (وجَّه)، وهو مأخوذ من الوجه المعروف، والجمع الوجوه. ووجه كل شيء مستقبله.

ويقال: هذا وجه الرأي، أي: هو الرأي نفسه، ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به. والتوجيه: الإقبال والانهزام.

ويقال: وجَّهت الريحُ الحصى توجيهاً إذا ساقته. ويقال قاد فلانٌ فلاناً فوجّه، أي: انقاد واتبع، وشيءٌ مُوجَّه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف [١].

ويقال: خرج القوم فَوجّهوا للنّاس الطريق توجيهاً إذا وطئوه وسَلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه.

والوجيه من الخيل: الذي تخرج يداه معاً عند النَّتاج، واسم ذلك الفعل التّوجيهُ.

والتوجيه في القوائم: كالصدق إلا أنه دونه[٢].

ووَجّهه الأمير توجيهاً وأوجَهه إيجاهاً: جعله وجيها[٣].

والتوجيه في الشعر: الحرف الذي بين ألف التأسيس وحرف الرويَّ[٤].

وقال الأخفش (ت ٢١٥هـ): التوجيه حركة الحرف الذي إلى جنب الروي المفيد لا يجوز مع الفتح غيره نحو:

قد جَبَر الدِّين الإلهُ فَجَبَر

---

[١] ينظر: لسان العرب: مادة: (وجه).

[٢] المصدر نفسه: مادة (وجه).

[٣] ينظر: اساس البلاغة: مادة (وجه)، ومختار الصحاح:مادة (وجوه).

[٤] ينظر: مجمل اللغة: (وجه)، ولسان العرب: مادة: (وجه).

التزم الفتح فيها كلها، ويجوز معها الكسر والضم في قصيدة واحدة كما مثّلنا[١].

يقول ابن جني (ت ٣٩٢هـ) سميت الحركة قبل الروي المقيد توجيهاً، إعلاماً أن للروي وجهين في حالين مختلفين، وذلك أنه كان مقيداً فله وجه يتقدمه، وإذا كان مطلقاً فله وجه يتأخر عنه[٢].

التوجيه اصطلاحاً:

مصطلح بلاغي: أدرجه السكاكي(ت ٢٢٦هـ) في ضمن المحسنات المعنوية وعرّفه بقوله: (هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين)[٣].

ومن التوجيه متشابهات القرآن باعتبار احتمالها للوجهين المختلفين، وأما باعتبار انه يجب في التوجيه استواء الاحتمالين فليست منه[٤].

وقد أطلق عليه بعضهم "المحتمل للضدين" كأن يقول الشاعر: بيتاً من الشعر يحتمل معنيين احدهما للمدح، والآخر للهجاء، ومما يمثل له البيت الآتي[٥]

خاط لي عمرو قباء ليت عينه سواء

---

[١] ينظر: لسان العرب: مادة (وجه)، ومعجم مصطلحات العروض والقوافي: ٢٥٦-٢٥٨.

[٢] ينظر: لسان العرب: مادة (وجه).

[٣] ينظر: مفتاح العلوم: ١٨٠، التعريفات: ٤٣.

[٤] ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ١٥٢٢.

[٥] ينظر: الكليات: ٨٣/٢، وأثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق: ١٤٦-١٤٧.

توجيه القراءة المتواترة:

يقول الزركشي (ت٧٩٤هـ) في توجيه القراءة المتواترة وتبين الوجه الذي ذهب إليه كل قارئ: "هو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به، أفردوا فيه كتبا منها كتاب (الحجة) لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وكتاب (الكشف) لمكي (ت ٤٣٧هـ)، وكتاب (الهداية) للمهدوي...وفائدته أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً، إلا انه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضيّ؛ لأن كلتيهما متواترة"[١].

ونُقل عن أبي شامة (ت ٦٦٥هـ) قوله: "قد اكثر المصنفون في القراءات والتفسير من الترجيح بين قراءة (ملك) و(مالك) حتى أن بعضهم يبالغ إلى حدّ يكاد يسقط القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين"[٢].

استمع إلى الزمخشري وهو يوجه قوله تعالى: (مَالِك يَومَ الدِّين) (الفاتحة/٤)، إذ يقول:"قرئ:ملك يوم الدين،ومالك،وملك بتخفيف اللام.وقرأ أبو حنيفة(رضى الله عنه) :مَلَكَ يومَ الدين، بلفظ الفعل، ونصب اليوم، وقرأ أبو هريرة (رضى الله عنه): مالكَ بالنصب. وقرأ غيره: مَلك، وهو نصب على المدح؛ ومنهم من قرأ: مالكٌ بالرفع، وملك: هو الاختيار؛ لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله تعالى: (لِمَنْ المُلْكُ اليَومَ) (غافر:١٦)، ولقوله تعالى: (ملك الناس) (الناس/٢)، ولأن المُلْك يعم والمِلْكَ يخص[٣].

وفي توضيح معنى القراءة قال: "فالاضافة هنا إضافة اسم فاعل إلى الظرف على طريقة الاتساع،تجري مُجْرى المفعول به كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار،

---

[١] البرهان في علوم القرآن: ٣٩٩/١.

[٢] المصدر نفسه: ٣٤٠/١.

[٣] الكشاف: ٥٤/١.

والمعنى على الظرفية، ومعناه ملك الأمر كله في يوم الدِّين. كقوله تعالى: (لِمَنْ المُلكُ اليَومَ) (غافر:١٦)[١].

ثم زاد قائلاً :"فإن قلت: فإضافة اسم فاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف، فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة؟ قلت: إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال، فكان في تقدير الانفصال، كقولك: مالك الساعة أو غداً، فأمّا إذا قصد معنى الماضي، كقولك: هو مالك عبده أمس، أو زمان مستمرّ، كقولك: زيد مالك العبيد، كانت الإضافة حقيقية، كقولك: مولى العبيد، وهذا هو المعنى في (مَالِكَ يَوْمَ الدِّينِ) (الفاتحة/٤)[٢].

وجوَّز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين، كقوله: (وَنَادى أَصْحَابُ الجنَّةِ) (الأعراف:٤٤) والدليل عليه قراءة أبي حنيفة: (مَلَكَ يَوْمَ الدِّين)[٣].

---

[١] الكشاف:١/٥٥.

[٢] المصدر نفسه: ١/٥٦.

[٣] المصدر نفسه.

توجيه القراءة الشاذة:

يقول الزركشي (ت٧٩٤هـ) في توجيه القراءة الشاذة: "وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهودة، ومن أحسن ما وضع فيه كتاب (المحتسب) لأبي الفتح، إلا أنه لم يستوفِ، وأوسع منه كتاب أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، وقد يستبشع ظاهر الشاذ بادي الرأي فيدفعه التأويل، كقراءة: (إنَّما يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءَ) (فاطر/٢٨)، وتأويله ان الخشية هنا بمعنى الإجلال والتعظيم؛ لا الخوف"[١]، وقال صاحب الكشاف: "كأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك، ممن عرفه حقّ معرفته وعلمه كنه علمه... فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: (إنَّما يِخْشَى اللهُ مِنْ عبادهِ العُلماءَ) وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنما يجلهم ويعظمهم، كما يجلّ المهيب المخشي من الرجال بين النّاس من بين جميع عباده"[٢].

والقراءة المتواترة هي بنصب لفظ الجلالة (الله) مفعولاً به مقدماً، ورفع العلماء فاعلاً مؤخراً.

وكقراءة من قرأ: (هو اللهُ الخَالِقُ البارِئُ المَصوَّرُ) (الحشر/٢٤) "بفتح الواو والراء على انه اسم مفعول، وتأويله انه مفعول لاسم الفاعل، الذي هو البارئ، فانه يعمل عمل الفعل كأنه قال: الذي برأ المصوّر)[٣].

وبصدد توجيه هذه القراءة يقول الزمخشري: (الخالق) المقدر لما يوجده و(البارئ) المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة. و(المُصَوِّر) الممثل. وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ : (البارئ المصوّر)، بفتح الواو ونصب الراء، أي: الذي يبرأ المصوّر، أي: يميز ما يصوّره بتفاوت الهيآت"[٤].

---

[١] البرهان في علوم القرآن: ٣٤١/١.

[٢] الكشاف: ٦٢٠/٣.

[٣] البرهان في علوم القرآن: ٣٤١/١.

[٤] الكشاف: ٥٠٩/٤.

المبحث الثاني

القراءات القرآنية، معناها، وأنواعها:

لا يكاد يوجد علم من علوم العربية بَلْه النحو إلا وتُعدّ القراءات رافداً من روافده الثرة؛ فهذا علم اللغة وعلم الصرف، وهذه علوم البلاغة وهذه كتب المعجمات اللغوية يشكل القرآن الكريم بقراءاته أصلاً وركناً ركيناً فيها[1].

وهل نهضت علوم عربية إلا بالقرآن وعلومه؟.

قال الشيخ سعيد الافغاني[2] متحدثاً عن القرآن الكريم: "هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة، وقراءاته جميعاً الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة.

أما طرائقه المختلفة في الأداء فهي كذلك؛ إذ إنَّها مروية عن الصحابة وقراء التابعين وهم جميعاً ممن يحتج بكلامهم الاعتيادي بَلْه قراءاتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولا ننس بعد ذلك أن أئمة القّراء مثل أبي عمرو بن العلاء والكسائي ويعقوب الحضرمي هم أئمة في اللغة والنحو أيضاً.

---

[1] عني العلماء المتأخرون بإبراز هذا الأمر، وبيان أثر القراءات في العلوم ومن المصنفات في ذلك :أ-أثر القراءات في الدراسات النحوية د.عبد العال سالم.

ب-القراءات واللهجات، عبد الوهاب حمودة.

ج-الإمالة في القراءات واللهجات، د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي.

د-اللهجات في القراءات القرآنية د.عبده الراجحي.

هـ-دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، في أحد عشر مجلداً قسمه على ثلاثة اقسام قسم منه في معني الحروف ثلاثة مجلدات، وقسم في النحو أربعة مجلدات، وقسم في الصرف اربعة مجلدات تجاوزت الآيات القرآنية والقراءات في القسم الأول (٢٨٧٠٠) كما صرح في ١/١/ ١٨.

و-القراءات وأثرها في علوم العربية د. محمد سالم محيسن

ز-القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين.

[2] سعيد الافغاني عالم بالنحو، له مصنفات وتحقيقات منها كتابه "في أصول النحو" وتحقيق "لمع الأدلة" لابن الأنباري.ينظر: القراءات واثرها في التفسير والاحكام ١/١٠٧.

وقد جرى عُرْف العلماء على الاحتجاج برواياته (يعني: القرآن) سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة.

والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها في اللغة والنحو؛ إذ هي على كل حال أقوى سنداً وأصح نقلاً من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن[١].

ويقول الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٩٨٤م): "القرآن الكريم حجة في العربية بقراءته المتواترة وغير المتواترة، كما هو حجة في الشريعة، فالقراءة الشاذة التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأناً عن أوثق ما نقل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتفي فيه برواية الآحاد"[٢].

ولمّا كانت بهذه المثابة، ولمّا كانت هذه الدراسة في التوجيه النحوي للقراءات القرآنية؛ احتاج الأمر إلى تعريف القراءات وبيان معانيها وأنواعها، وهذا بحول الله وقوته ما سيأتي:

القراءة في اللغة:

ورد الفعل الثلاثي (قرأ) في كتب اللغة بمعنى جمع وضمّ أجزاء الشيء بعضها إلى بعض، وهو الأصل في المعنى، ومنه قولهم: "ما قرأت هذه الناقة سلى"[٣].

وما قرأت جنيناً، أي: لم تضم رحمها على ولد[٤].

قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

تُريك إذَا دَخَلت على خَلاءٍ وقَدْ أمنتْ عُيون الكاشحينا

ذِراعَي عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بَكْرٍ هَجَان اللّونِ لَمْ تَقْرأ جنينا[١]

---

[١] في أصول النحو: ٢٨-٢٩.

[٢] دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم ١، مجلد١، :٢.

[٣] ينظر: الصحاح، ولسان العرب، والقاموس المحيط، مادة (قرأ).

[٤] ينظر: الصحاح، مادة: قرأ، والاتقان: ١١٣/١.

يعني بقوله: "لم تقرأ جنيناً" لم تضم رحماً على ولد.

وفيه قول آخر: "لم تقرأ جنيناً" أي: لم تلقه[٢].

ومعنى قرأت القرآن بناء على هذا: لفظت به مجموعاً[٣].

وفرّق ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) بين قري يقرى وبين قرأ يقرأ؛ فالأولى من باب الياء من المعتل ومعناها: الجمع والاجتماع، والثانية من باب الهمز ومعناها الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد ومنه قراءة القرآن؛ لأن قارئه يظهره ويخرجه مقدراً محدوداً لا يزيد ولا ينقص ويدل عليه قوله تعالى: (إِنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرآنهُ) (القيامة:١٧)؛ ففرّق بين الجمع والقرآن ولو كان واحداً لكان تكريراً محضاً[٤].

القراءة في الاصطلاح:

لعلماء القراءات–رحمهم الله– جملة من التعريفات في حدِّ القراءات وهي[٥]:

١–عرَّف أبو حيان (ت٧٥٤هـ) القراءات في أثناء تعريفه للتفسير، إذ قال: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها في أحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها التركيب وتتمات لذلك".

ثم قال رحمه الله: "وقولنا: [يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن] هذا هو علم القرآن"[٦].

يلاحظ أن هذا التعريف أقرب إلى موضوع التجويد منه إلى تعريف القراءات[١].

---

[١] قوله: "بكر هجان اللون" البكر الناقة التي ولدت ولداً واحداً وقد يطلق على الناقة التي لم تلد، وقوله: "لم تقرا جنيناً" أي: لم تضم في رحمها جنيناً. ومعنى البيتين: تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية وأمنت عيون اعدائها؛ تريك ذراعين ممتلئين لحماً كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد ولم تضم رحمها على ولد ولم تلقه؛ يصفها بالسمن والبياض. ينظر: شرح أبي جعفر النحاس على المعلقات ص٩٣–٩٤، وشرح الزوزني للمعلقات ص ٢٠٣–٢٠٤؛ وشرح المعلقات للتبريزي ص٢٥٨–٢٥٩. والبيت الثاني له رواية غير مذكورة هنا وهي: ذراعي عيطل أدماء بكر تربعت الأرجاع والمتونا، نبه عليه النحاس والزوزني والتبريزي، وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه. ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والاحكام : ١٠٦/١.

[٢] ينظر: جامع البيان: ٩٥/١–٩٦، تح: أحمد شاكر، دار المعارف، وقارن بلسان العرب وتاج العروس، مادة: قرأ.

[٣] ينظر: لسان العرب وتاج العروس، مادة "قرأ".

[٤] ينظر: زاد المعاد: ٦٣٥/٥.

[٥] بدأت التعريف بقول أبي حيان من القرن الثامن، لأني لم أجد تعريفاً اقدم من تعريفه في ما بين يديّ من كتب.

[٦] البحر المحيط: ١٤/١.

٢-عرَّف بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) القراءات تعريفاً يفرق فيه بينها وبين القرآن، فقال: "القرآن هو الوحي المنزل على محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف، أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[٢].

ويلاحظ ما يأتي:

-انه خصص القراءات في تعريفه بمواضع الاختلاف، ولم يشر إلى مواضع الاتفاق فيها[٣].

-انه قصر الاختلاف في القراءات على ما ذكر ولم يشر-بوضوح-إلى الاختلاف في اللغة والإعراب والحذف والاثبات وهو واقع في القراءات[٤].

٣-عرَّف شمس الدين بن الجزري(ت٨٣٣هـ) القراءات بقوله: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[٥].

٤-عرَّف جلال الدين السيوطي(ت٩١١ هـ) القراءات في أثناء حديثه عن العالي والنازل من أسانيد القرآن، إذ قال: "ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه، فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة او العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الطرق والروايات فهو قراءة..."[٦].

ويلاحظ ما يأتي:

-انه لم يحدد ماهية القراءة من حيث هي، إنما بالنظر إلى الرواية والوجه والطريق[٧].

---

[١] يعرّف التجويد بأنه: "إخراج كل حرف من القرآن الكريم من مخرجه مع إعطائه حقّه ومستحقه". ينظر: الكتب المصنفة في تجويد القرآن ومنها [البرهان في تجويد القرآن] "عالم الكتب":٩-١٠، و[هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ] ٣٧-٣٨، و[الموجز الفريد في أحكام التجويد] ٣٨.

[٢] البرهان في علوم القرآن: ٣١٨/١.

[٣] ينظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف: ٦٣، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام: ١٠٨/١.

[٤] ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام:١٠٨/١.

[٥] منجد المقرئين:٣.

[٦] الإتقان في علوم القرآن: ٢٠٩/١.

[٧] ينظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام: ١٠٩/١.

-عرّف شهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) علم القراءات بانه: "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والاثبات،والتحريك والإسكان والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

أو يقال: علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب،والحذف والاثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل.

أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله"[١].

ويلاحظ: أن التعريف الثالث هو ما قاله ابن الجزري.

٦-عرَّف الدمياطي (ت١١١٧ هـ) القراءات كما عرفها القسطلاني[٢] في تعريفيه الأول والثالث المذكورين سابقاً.

٧-عرَّف عبد الفتاح القاضي[٣] (ت ١٤٠٣هـ) القراءات بأنها: "علم يعرف كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله"[٤].

أنواع القراءات:

من المعلوم أن القرآن الكريم أنزل على سبعة احرف كما ورد في الحديث المتواتر: "أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كاف"[٥]

ومن هنا اختلفت قراءات الصحابة والتابعين، ولسنا هنا بصدد بيان معنى هذه الأحرف التي كَثُرَ الخلاف فيها، ولكن نريد التنبيه على أنّ القراءات على اختلافها ترجع إلى حرفٍ واحد أو ما احتمله رسم المصحف من احرف، كما ذكره الطبري (ت

---

[١] لطائف الإرشاد: ١/١٧٠.

[٢] ينظر: اتحاف فضلاء البشر:٥.

[٣] عبد الفتاح القاضي، عالم بالقراءات من أهل التدقيق فيها، له كتاب"البدور الزاهرة في القراءات العشر" و"القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب"، من علماء الازهر، توفي سنة ١٤٠٣هـ.

[٤] البدور الزاهرة: ٧.

[٥] صحيح البخاري: ٣/٢٢٦.

٣١٠هـ) في كتابه "في القراءات" الذي لم يصل إلينا، ونقله عنه مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)[١].

ولمّا كثرت القراءات وضع العلماء ضوابط للقراءة الصحيحة اولها: الرواية، وهذا الضابط موجود منذ زمن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم موافقة رسم المصحف بعد أن نسخ عثمان (رضى الله عنه) المصاحف، ثم بعد ذلك كان الضابط الثالث وهو موافقة العربية ولو بوجه.

ومن هنا أجمع أهل الامصار على أئمة اشتهروا بالضبط والاتقان، اختارهم ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) في كتابه "السبعة في القراءات"، عرفوا بالقراء السبعة وهم[٢]

١-عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي،(ت ١١٨هـ).

٢-عبد الله بن كثير الداري المكي، (ت١٢٠هـ).

٣-عاصم بن أبي النجود الكوفي، (ت١٢٧هـ).

٤-أبو عمرو بن العلاء البصري، (ت ١٥٤هـ)

٥-حمزة بن حبيب الزيات، (ت ١٥٦هـ).

٦-أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم، (ت ١٦٩هـ).

٧-علي بن حمزة الكسائي، (ت ١٨٩هـ).

ويتلوهم في الشهرة أصحاب القراءات الثلاث المتممة للعشر[٣] والمنسوبة إلى:

٨-ابي جعفر يزيد بن القعقاع المدني، (ت ١٣٠هـ).

٩-ابي محمَّد يعقوب بن اسحاق الحضرمي، (ت ٢٠٥هـ).

١٠-ابي محمَّد خلف بن هشام البزار، (ت ٢٢٩هـ).

ثم تأتي القراءات الأربع المتممة للأربع عشرة[٤] والمنسوبة إلى:

---

[١] ينظر: الإبانة عن معاني القراءات: ٢،٣،١٢، ومحاضرات في علوم القرآن: ١٢٧-١٢٨، والقراءات عند مكي بن ابي طالب، عبد الستار فاضل، مجلة آداب الرافدين، العدد ٢٧: ١٩٨-١٩٩ لسنة ١٩٩٥م.

[٢] تكلم ابن مجاهد في كتابه "السبعة عن أحوالهم، ينظر: السبعة: ٥٣-٨٧، والتيسير: ٤-٧، والبدور الزاهرة: ٧،٨.

[٣] ينظر: نبذة عنهم في شرح طيبة النشر: ١١-١٢.

[٤] ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٧.

١١-الحسن البصري، (ت ١١٠هـ).
١٢-الأعمش سليمان بن مهران، (ت ١٤٨هـ).
١٣-اليزيدي يحيى بن المبارك، (ت ٢٠٢هـ).
١٤-ابن محيصن محمّد بن عبد الرحمن المكي، (ت ١٢٣هـ).

الأحادية:وهي التي لم تصل في نقلها إلى مستوى يفيد باتصالها بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مع كونها جامعة للشروط الثلاثة[١]، ويعد هذا النوع من القراءات من الضوابط التي وضعها العلماء للتمييز بين القراءات المتواترة وغيرها[٢]، على رأي القائلين: ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن وإن وافق العربية، ورسم المصحف ونقله الثقات[٣]؛ لأن القرآن عند جمهور المذاهب الأربعة هو: "ما نقل بين دفتي المصحف

[١] ينظر: القراءات القرآنية: ٥٧-٥٩.
[٢] ينظر: المصدر نفسه: ١٧.
[٣] ينظر: المرشد الوجيز: ١٨١.

نقلاً متواتراً "[1]، وتدخل في الأحادية القراءات المنسوبة إلى الصحابة، وهي التي استفاض نقلها وتلقتها الأمة بالقبول[2].

وقد يلحق هذا النوع عند بعضهم بالمتواتر؛ لاقترانه بما يفيد العلم باتصاله بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)[3].

الشاذة: وهي المخالفة للرسم العثماني، التي لم تتلقها الأمة بالقبول لعدم استفاضتها[4]. ويعرّفها ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) بقوله: "ما وافق العربية وصحَّ سنده وخالف الرسم"[5]. وقد اختلف العلماء في تحديد ضوابط الشذوذ في القراءات القرآنية مما أدى إلى عدم استقرار المعنى، وسنعرض ذلك فيما يأتي:

---

[1] اتحاف فضلاء البشر: ١٨١.

[2] ينظر: منجد المقرئين: ١٦.

[3] ينظر: القراءات القرآنية: ٥٧-٥٨.

[4] ينظر: القراءات القرآنية، عبد الهادي الفضلي: ٥٨-٥٩.

[5] منجد المقرئين: ١٦٥.

١-حكى مكي بن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) رواية لنافع بن ابي نعيم(ت ١٦٩هـ) نصها: "قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شذّ فيه أحد تركته حتى اتبعت هذه القراءة"[١].

هنا تكمن إشارة إلى شذوذ القراءة المنقولة عن طريق الآحاد.

٢-الشاذ ما خالف الرسم العثماني وإنّ صحَّ النقل، ووافق العربية، قال مكي: "...ما صحَّ نقله في الآحاد، وصحَّ وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين إحداهما:انه لم يؤخذ به بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر واحد، والأخرى: أنه مخالف لما قد أجمع عليه، فلا يقطع على معيبه وصحته ولا يجوز القراءة به ولا يكفر من جحده"[٢].

٣-الشاذ ما لا وجه له في العربية، يقول أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي(ت ٦٤٣هـ): "هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة، ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف"[٣].

وقد ظلّت هذه الأنواع للقراءات الشاذة تمثل مفهوم الشذوذ حتى عصر ابن مجاهد إذ ظهر مفهوم جديد للشاذ، وهو ما خرج عن القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) في كتابه الموسوم بـ"السبعة"، أشار إلى ذلك ابن جني(ت ٣٩٢هـ) عند كلامه عن أقسام القراءات[٤].

وجاء ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)؛ ليضيف قارئاً آخر إلى القراء السبع، هو يعقوب بن اسحاق الحضرمي[٥]. فالشاذ عنده ما خالف القراءات الثمان، ثم ظهر مفهوم جديد للشاذ من القراءات وهو ما ذكره أبو شامة[٦](ت٦٦٥هـ)، إذ قال: "كل

---

[١] الإبانة عن معاني القراءات: ١٧.

[٢] المصدر نفسه: ١٨-١٩.

[٣] جمال القرّاء: ٢٤٣/١.

[٤] ينظر: المحتسب: ٧٠/٢.

[٥] ينظر: تاريخ القرآن، شاهين: ١١.

[٦] أبو شامة هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، ابو القاسم شهاب الدينن ابو شامة مقرئ مفسر، مؤرخ(٥٩٩-٦٦٥هـ)، غاية النهاية، ط٢.

قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها، ومجيؤها على الفصيح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختلفت هذه الأركان الثلاثة اطلق على تلك القراءة أنها شاذة، أشار إلى ذلك جماعة من المتقدمين"[١].

ظلّت هذه الأركان الثلاثة مقياساً في تمييز القراءات الصحيحة من الشاذة زمناً طويلاً حتى مجيء ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) الذي طالعنا بقوله: "إن كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردَّها، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على النّاس قبولها، سواء أكانت عن السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف"[٢]. فحدث للقراءات شيء من التوسع، فأضيفت ثلاث قراءات إلى القراءات السبع، وقد مرّ ذكرها.

وأصبح الشاذ ما خالف القراءات العشر، استمع إلى ابن الجزري يقول: "...فالذي وصل إلينا اليوم متواتراً وصحيحاً مقطوعاً به قراءات الأئمة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء، وعليه النّاس اليوم"[٣].

المبحث الثالث

الزمخشري وتفسيره

الزمخشري: سوف أتناول حياة الزمخشري، وآثاره العلمية بشكل موجز؛ لأن ثمة باحثين أفاضل، قد أفاضوا الحديث عن حياته، وآثاره، فلا أجد مدعاة لتكرير ما قالوا، وإنما أتناول حياته بالشكل الموجز، وبما يؤسس مبحثاً تمهيدياً لهذه الرسالة. ومن أبرز من تناول حياة الزمخشري، وآثاره هم:

---

[١] ينظر: المرشد الوجيز: ١٠٣.

[٢] النشر:١/٩ ، وينظر: البرهان: ١/٢٣١، ولطائف الإرشاد: ١/٦٧.

[٣] النشر: ١/٧١.

١-أبو موسى محمّد حثيث-البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري.
٢-د. أحمد محمّد الحوفي-الزمخشري.
٣-عبد الرزاق المهدي-الكشاف. تحقيق.
٤-د. فاضل صالح السامرائي-الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري.
٥-د. فهمي حسن النمر-مسائل النحو الخلافية بين الزمخشري وابن مالك.
٦-محمَّد حسن إبراهيم-الزمخشري أديباً.
٧-مرتضى آيات الله الشيرازي-الزمخشري اللغوي.
٨-مصطفى الصاوي الجويني-منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه.

اسمه وكنيته ولقبه:

الزمخشري: هو أبو القاسم محمد بن عمر بن محمّد بن عمر[١]. كان يعرف بالزمخشري نسبة إلى زمخشر[٢]. لُقِبَ بجار الله لمجاورته مكة، وفخر خوارزم لغزارة علمه[٣].

مولده: كان مولده بزمخشر يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧[٤].

(نشأته): عاصر تأسيس الدولة الخوارزمية، ونشأ في بيئة خوارزم العلمية التي وصف المقدسيُّ أهلها بأنهم أهل فهم وعلم وفقة وقرآن وأدب[٥].

وكان الاعتزال هو العقيدة السائدة فيهم حتى أنه ليندر أن نجد خوارزميا غير معتزلي[٦]، ومنهم الزمخشري الذي كان من اعلام المعتزلة، قوياً في مذهبه، مجاهراً

---

[١] ينظر: نزهة الالباء: ٢٧٤، ووفيات الاعيان: ٢٥٤/٤، والبداية والنهاية: ٢١٩/١٢.

[٢] زمخشر احدى قرى خوارزم القريبة منها، يقول القفطي: (سمعت بعض التجار تقول أنها قد دخلت في جملة المدينة، وان العمارة لما كثرت وصلت إليها فصارت من جملة محالها)، إنباة الرواة: ٢٦٥/٣.

[٣] ينظر: نزهة الالباء: ٢٧٤ وبغية الوعاة: ٢٨٠/٢.

[٤] ينظر: نزهة الألباء: ٢٧٦، ووفيات الأعيان: ٢٥٩/٤.

[٥] ينظر: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم: ٢٨٤، والزمخشري، للحوفي: ١٥.

[٦] ينظر: الزمخشري، للحوفي: ٢٥.

به، حتى نقل عنه أنه إذا قصد صاحباً له وأستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن: قل له: أبو القاسم المعتزلي بالباب[١].

(ثقافته): تلقى الزمخشري العلم في حياته الأولى في خوارزم، واتصل بشيوخها، ثم رحل إلى بخارى ليطلب العلم، ورد بغداد غير مرة، وسمع من مشايخ متعددين حتى برز في أكثر من علم، واشتهر بعدّة فنون، كان نحوياً فاضلاً، وسمع الحديث وتفقّه وصار إمام عصره[٢]. ويشهد له ما خلّفه من مؤلفات شتى[٣].

من أشهر علماء خوارزم الذين أخذ عنهم، أبو مضر محمّد بن جرير الضبي الاصفهاني النحوي (ت ٥٠٧هـ) الذي يلقب بفريد العصر ووحيد الدهر في علم اللغة والنحو والطب، وكان يضرب به المثل في الفضائل[٤].

وأخذ عن أبي بكر عبد الله بن طلحة بن محمّد بن عبد الله اليابري الأندلسي (ت ٥١٨هـ) من أهل يابرة من بلاد الأندلس، نحوي أصولي فقيه، قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه[٥].

(تلامذته): تلقى العلم عن الزمخشري كثيرون، ومن أشهرهم، أبو الحسن علي بن محمّد بن علي بن احمد بن هارون العمراني الخوارزمي (ت ٥٦٠هـ)، الملقب بحجة الأفاضل وفخر المشايخ، قرأ على الزمخشري فصار أكبر أصحابه وأوفرهم حظاً، صنّف في التفسير والاشتقاق وعلوم أخرى[٦].

ومنهم أبو الفضل محمّد بن ابي القاسم بن بايجوك البقالي الخوارزمي الآرمي النحوي (ت ٥٦٢هـ)، الملقب بـ(زين المشايخ)، كان إماماً في الأدب وحجة لسان

---

[١] ينظر: وفيات الاعيان: ٢٥٥/٤، وبغية الوعاة: ٢٧٩/٢.

[٢] ينظر: وفيات الاعيان: ٢٥٥/٤، ونزهة الألباء: ٢٧٤، والنجوم الزاهرة: ٢٧٤/٥.

[٣] قد احصى الدكتور فاضل السامرائي للزمخشري نحو ٥٦ مؤلفا بين مطبوع ومخطوط، ينظر: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري: ٨٥-١٠٠.

[٤] ينظر: معجم الأدباء: ٢٢/١٩، ووفيات الاعيان: ٢٥٤/٤، وبغية الوعاة: ٣٨٨/٢.

[٥] ينظر: بغية الوعاة: ٢٨٤، والبحر المحيط: ٣٧٢/٤.

[٦] ينظر: معجم الأدباء: ٦١/١٥-٦٥، وبغية الوعاة: ٣٥٠/٢-٣٥١.

العرب، أخذ اللغة والإعراب عن الزمخشري، وجلس بعده مكانه، ألّف في التفسير واللغة والنحو والمعاني والبيان وغير ذلك[١].

وممن أجاز لهم الزمخشري محمّد بن محمّد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمّد بن عبد الله رشيد الدين المعروف بـ(الوطواط)، المولود ببلخ والمتوفى بخوارزم سنة(٥٧٣هـ)[٢].

وزينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني-وتعرف بابنة الشَعْري-عالمة فاضلة ومحدثة جليلة، أجازت ابن خلكان، توفيت بنيسابور (٦١٥هـ)[٣].

(وفاته): توفي أبو القاسم (رحمه الله) بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة سنة (٥٣٨هـ)[٤].

موقف الزمخشري من القراءات القرآنية

للزمخشري عناية كبيرة بالقراءات القرآنية، إذ يُعد كتابه-الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-مصدراً مميزاً يزخر بفيض من القراءات على اختلاف أقسامها، المتواترة والشاذة وغيرها، ويمكن أن نوجز بعض مواقفه على سبيل المثال لا الحصر:

١-يستدل بالقراءات على قضايا نحوية، كاستعانته بقراءة على تقدير مضاف، قال في قوله تعالى: (أجعلتم سقايةَ الحاجِّ وعمارة المسجد الحرامِ كَمَن آمَنَ بالله واليوم

---

[١] ينظر: المصدر نفسه: ٥/١٥، المصدر نفسه: ٩٢/١،و الزمخشري للحوفي: ٥٣.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٢٩/١٩،والزمخشري للحوفي: ٥٤.

[٣] ينظر: وفيات الأعيان: ٢٥٦/٤-٢٦٧، واعلام النساء: ٧٥/٢-٧٦.

[٤] ينظر: نزهة الألباء: ٢٧٦، وفيات الأعيان: ٢٥٩/٤، وأنباه الرواة: ٢٦٨/٣.

الآخر...) (التوبة/١٩): "ولا بدّ من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد...) تصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي[١]–وكان من القراء–: "سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام"[٢].

٢–ويستدل بقراءة على ترجيح قراءة أخرى، قال في قوله تعالى: (مالِكِ يوم الدّينِ) (الفاتحة/٤): "قرئ: ملك يوم الدين،ومالك وملك بتخفيف اللام. وقرأ أبو حنيفة (رضى الله عنه): مَلَكَ يومَ الدين، بلفظ الفعل ونصب اليوم، وقرأ أبو هريرة(رضى الله عنه): مالكَ بالنصب. وقرأ غيره: مَلَك، وهو نصب على المدح؛ ومنهم من قرأ: مالكٌ بالرفع. وملك: هو الاختيار؛ لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله: (لِمَنْ المُلْكُ اليومَ) (غافر/١٦)، ولقوله: (ملك الناس) (الناس/٢)، ولأن المُلْك يعم والمِلْكَ يخص"[٣].

٣–يستدل بالقراءات للوصول إلى المعنى وترجيح المقصود، قال تعالى: (واتقوا فتنةً لا تُصِيبنَّ الذِّين ظلموا منكم خاصةً...) (الانفال/٢٥): " (لا تصيبنَّ) لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر. أو نهياً بعد أمر. أو صفة لفتنة... وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول، كانه قيل: واتقوا فتنة مقولاً فيها...ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود: " لتصيبنَّ" على جواب القسم المحذوف[٤].

٤–ويستدل على اثبات قراءة بقراءة أخرى. قال في قوله تعالى: (مَّن يُصَرف عنه يومئذٍ فقد رَحِمَهُ) (الأنعام:١٦): "وقرئ (من يَصْرف عنه) على بناء للفاعل...ويجوز أن ينتصب (يومئذٍ) بـ (يصرف انتصاب المفعول به أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم...وينصر هذه القراءة قراءة أُبي (رضى الله عنه): من يصرف الله عنه)[٥].

---

[١] ابن وجزة السعدي: شاعر ومحدّث وكان من القراء–: "سقاية الحاج وعمرة المسجد الحرام" ، ينظر: هامش الكشاف: ٢/٢٤٤.

[٢] الكشاف: ٢/٢٤٤،٢٤٣.

[٣] المصدر نفسه: ١/٥٤.

[٤] الكشاف: ٢/٢٠١.

[٥] المصدر نفسه: ٢/١٢.

٥-قد ينسب بعض القراءات إلى عدم الفصاحة. قال في قوله تعالى: (فَإِذَا فَرِغتَ فَانصَب) (الشرح:٧): "وقرأ أبو السّمّال: فرِغت-بكسر الراء-وليست بفصيحة"[١].

٦-قد يخطئ قسماً من القراءات ويلحنها ولو كانت من القراءات السبع. قال في قوله تعالى: (فَليُؤَدِّ الّذِي اؤتمن أمانته...) (البقرة:٢٨٣): " وعن عاصم أنه قرأ: (الذي اتّمن)، بإدغام الياء في التاء، قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر، وليس بصحيح؛ لأنّ الياء منقلبة عن الهمزة ، فهي في حكم الهمزة "[٢] وقال في "الفائق": "قد غلط من قرأ: (الذي اتمن)[٣] وعاصم أحد القّراء السبعة.

٧-وقد يلحن القارئ. قال في قوله تعالى: (...ءَ أَنذَرتَهُم...) (البقرة:٦): "....فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً؟ قلت: هو لاحن خارج عن كلام العرب..."[٤].

وهي قراءة ورش[٥]

٨-قد ينسب الخطأ والوهم إلى نقلة القراء لا إلى القراء أنفسهم. استمع إليه وهو يقول في قوله تعالى: (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء...) (البقرة:٢٨٤): "فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء. ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً. ورواية عن أبي عمرو مخطئ مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهلٍ عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلاّ أهل النحو"[٦].

٩-قد يذهب به الرأي إلى ان القراءة رأي واجتهاد وهي تؤدي حسب المعنى ويغفل السند، قال في قوله تعالى: (أنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها...) (البقرة:٢٦): " فإن رفعتها-بعوضة-فهي موصولة ما، ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي في معنى الاستفهام...وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن

---

[١] المصدر نفسه: ٤/٧٧٧.

[٢] المصدر نفسه: ١/٣٥٦.

[٣] الفائق في غريب الحديث والأثر: ١/١٥.

[٤] الكشاف: ١/٨٨.

[٥] ينظر: التبصرة في القراءات: ٧١، والبدور الزاهرة: ٢٠.

[٦] الكشاف: ١/٣٥٧-٣٥٨.

العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم[1] والمشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه "[2]

١٠-وقبل كل هذا يعد الكشاف من كتب القراءات، إذ أورد الزمخشري الكثير من القراءات بكل أنواعها.

تفسيره:

لم نَرَ الزمخشري يشمخ بمؤلف له شموخه هذا بالكشاف الذي يحق للعلماء أن يعد ممثلاً لنضجهِ العلمي. فيرى فيه الزمخشري رجلاً قد هضم التفسير، وأحاط معرفة وخبراً بالقضايا الفقهية والخلاف فيها. وألم إلماماً بالقراءات يغبط عليه، فضلاً عن إطلاعه الواسع على الشعر والنثر. مما أتاح للزمخشري بروزه بوصفه لغوياً متمكنا ومنطقيا بارعا.

ويعد تفسيره هذا خلاصة لما يتمتع به من ثقافات ومعرفة، زيادة عن استفادته مِن آثار مَن تقدمه سواء أكان في اللغة أو غيرها من المعارف[3].

---

[1] الشَّيحُ-بكسر الشين-نبت معروف-والقيصوم: نبت زهرة مرّ جداً. ينظر: مختار الصحاح: مادة: (ش.ى.ح)، وهامش الكشاف: ١٤٣/١.

[2] الكشاف: ١٤٣/١.

[3] ينظر: الكشاف: ٢٣/١.

وقد احصى له عبد الرزاق المهدي محقق "تفسير الكشاف" المصادر التي نقل عنها الزمخشري، كتفسير ابن مجاهد[١]، وتفسير عمرو ابن عبيد (ت١١٤هـ)، ومعاني القرآن للزجاج (ت ٣١١هـ) وتفسير الرماني (ت ٣٨٤هـ) وغيرها من التفاسير.

وكذلك المصاحف كمصحفي ابن مسعود وأبيّ بن كعب وغيرهما من المصاحف، أو مصادر لغوية كـ"الكتاب" لسيبويه (ت ١٨٠هـ)، و"اصلاح المنطق" لابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، و"الكامل" للمبرد (ت ٢٨٥هـ)، وغيرها.

ومصادر الأدب ككتاب "الحيوان" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، و"الحماسة" لأبي تمام (ت٢٣٢هـ)[٢].

وتضافرت هذه المنابع مع موهبة وحنكة الزمخشري لتعطينا تفسيراً أظهر الكثير من جمال النظم القرآني وبلاغته مما جعله محل ثناء الذين جاؤوا من بعده. فقد وصفه ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) بقوله: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلاّ أنّ مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد..."[٣]

ورأي يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ) أنه متميز من سائر التفاسير من جهة تأسيسه على فني المعاني والبيان، فقال عن سبب تأليفه كتاب "الطراز" إن الباعث على تأليف كتابه هو :"أن جماعة من أخوانه قرؤوا تفسير العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري، الممتاز بأنه مؤسس على قواعد علم المعاني والبيان،...ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً من سائر التفاسير، لأني لم أجد تفسيراً مؤسساً على المعاني والبيان سواه..."[٤].

---

[١] هو الإمام المخزومي مجاهد بن جبر المقرئ المفسر الحافظ، سمع سعداً وعائشة وابا هريرة وابن عمر وابن عباس (رضى الله عنهم) ولزمه مدة وقرأ عليه القرآن. قال عنه قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، وروى عنه الأئمة الستة، توفي سنة (١٠٣هـ) وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة. تذكرة الحفاظ، للذهبي: ٩٢/١.

[٢] ينظر: الكشاف :٢٣/١-٢٤.

[٣] مقدمة ابن خلدون: ٩٨٨.

[٤] الطراز: ٥/١.

ولمكانة الكشاف اعتنى به العلماء بين مختصر له أو شارح أو معلّق عليه أو جامع بينه وبين غيره، أو مخرج لأحاديثه، أو شواهده الشعرية، وقد احصى عبد الرزاق المهدي منها اثني عشر كتاباً، وأحصى من المختصرات على الكشاف أربعة كتب، ومن كتب الشواهد الشعرية الواردة في الكشاف مع شروحها وبيان معانيها، أحصى كتابين[1].

والحقّ ان الكشاف أصبح مناراً يهتدي إليه الكل، وقد أعترف الكثير من العلماء حتى من خصومه ببراعته وحسن صناعته.

[1] ينظر: الكشاف: ١/٢٩-٣١، ولمزيد من التفاصيل ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة : (٢/١٤٧٥-١٤٨٤) حيث سرد أسماء الأئمة الذين اعتنوا بكتاب :"الكشاف" وهم ما بين مختصر، ومعلَّق عليه، ومخرج لأحاديثه وشعره.

المبحث الأول

بين الرفع والنصب:

في ضمن هذا الضرب وردت عدة قراءات نورد منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: **(يَبَنِى ءَادَمَ قَد أَنزَلنَا عَليكُم لِباسًا يُوارِى سَوءاتِكُم وَرِيشًا ولِباسُ التَّقوى ذَلكَ خَيرٌ ذَلكَ مِنْ آيتِ الله لَعَلَّهُم يَذَّكَّرُونَ)** (الأعراف/٢٦).

ذكر الزمخشري وجهين من القراءة في قوله عز وجل: (ولباسُ التقوى) هما:

١-الرفع على الابتداء

٢-النصب بالعطف

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلتا القراءتين مستفيضاً في الوجه الأول:وهو الرفع على الابتداء أو هو خبر لمبتدأ محذوف، إذ قال:

" (ولباسُ التقوى) ولباس الورع والخشية من الله تعالى، وارتفاعه على الابتداء[١] وخبره إما الجملة التي هي: (ذلك خير) كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير؛ لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر. وأما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ، كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه خير... وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف، أي: وهو لباس التقوى، ثم قيل: ذلك خير"[٢]

فالحجة لمن رفع جَعَل (لباسُ التّقوى) مبتدأ، إذ ابتدأه بالواو، والخبر "خَيْرٌ" و"ذَلِك" نعت لـ"لباس" ودليله أنّه في قراءة عبد الله بن مسعود وأُبيّ: "ولباس التقوى خير"[٣] ليس فيه "ذلك"[٤].

وهذه الحجة قال بها الفراء (ت ٢٠٧هـ) محتجاً بقراءة أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود[٥] في تقوية هذا التوجيه إذ قال: " (ولباس التَّقوى) يرفع بقوله: ولباس التّقوى

---

[١] قراءة ابن كثير وعاصم وابي عمرو وحمزة، ينظر: السبعة في القراءات:٢٨٢، والكشف:٤٦١/١، والنشر في القراءات العشر:٢٦٨/٢، واتحاف فضلاء البشر:٢٢٣.

[٢] الكشاف:٩٣/٢.

[٣] مختصر في شواذ القراءات: ٤٣.

[٤] الحجة ابن خالويه:١٢٩.

[٥] ينظر: مختصر في شواذ القراءات:٤٣.

خير، ويجعل ذلك من نعته، وهي في قراءة أبيّ وعبد الله جميعاً: ولباس التقوى خير"[١].

فرافع "اللباس"على حدِّ قول الفراء هو "خير" الذي يكون خبراً له وهذا يتفق مع ما ذهب إليه نحويُّو الكوفة برفع كل من المبتدأ والخبر لبعضهما؛ فهما يترافعان[٢]. وايد الطبري الفراء فيما ذهب إليه[٣].

وأجاز مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ)[٤] أن يكون قوله تعالى: (ذلك) بدلاً أو عطف بيان، مقتفياً في ذلك أثر العكبري الذي بيّن وجوهاً لقراءة الرفع منها: أن يكون (ذلك) بدلاً أو عطف بيان[٥]. وكان الأخفش قد قال بارتفاع قوله تعالى: (ولباسُ التقوى) على الابتداء وجعل خبره في قوله: (ذلك خير)[٦] واتفق معه الزمخشري في ذلك.

والمستند في هذا التوجيه هو أن الرابط بين الجملتين قوله تعالى: (ذلك) وهو اسم إشارة يعد بمثابة الضمير الرابط وذلك لحاجة الخبر وهو جملة إلى رابط[٧].

أمّا الزجاج فقد جوّز رفعه بـ"هو" مضمرة، والمعنى والتقدير: وهو لباس التقوى[٨].

وأشار النحاس (ت ٣٣٨هـ) إلى توجيه كل من الفراء الذي تابعه الطبري وتوجيه الزجاج، مختاراً رأي الفراء، قائلاً: " (ولباس التقوى) بالرفع والنصب على العطف وتم الكلام والرفع بالابتداء و(ذلك) من نعته وخبر الابتداء (خير) ويجوز أن

---

[١] معاني القرآن للفراء:١/٣٧٥.

[٢] ينظر: الاتصاف في مسائل الخلاف: مسألة(٥)، وقراءة الاعمش/دراسة لغوية ونحوية:١٤٦.

[٣] ينظر جامع البيان:٨/١٥٠.

[٤] ينظر: الكشف:١/٤٦٠-٤٦١.

[٥] ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن:١/٥٦٢.

[٦] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٢/٢٩٧.

[٧] ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢/٥٠، والاشباه والنظائر في النحو: ٣/١٠٢، والاوجه الاعرابية وعلاقتها بالمعنى في القراءات السبع (رسالة): ٥٢.

[٨] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٢/٣٢٨-٣٢٩.

يكون لباس مرفوعاً على إضمار مبتدأ، أي: "وستر العورة ذلك لباس المتقين" [١] ثم خلص إلى قوله: "فأولى ما قيل فيه أن ترفعه بالابتداء و"ذلك" نعته"[٢].

وكون "ذلك" صفة للباس فقد ردّ صاحب روح المعاني بقوله: " إنّ الأسماء المبهمة أعرف من المعرّف باللام ومما أضيف إليه، والنعت لابد أن يساوي المنعوت في رتبة التعريف أو يكون أقل منه، ولا يجوز أن يكون أعرف منه، فلذا قيل إن (ذلك) بدل أو عطف بيان لا نعت"[٣].

أمّا الوجه الثاني: النصب بالعطف فقد ذكره الزمخشري بقوله:

"وقرئ: (ولباسَ التقوى)[٤] بالنصب عطفاً على لباساً وريشاُ "[٥].

إذ كان النصب عند الفراء هو الاختيار قال: "فنصب اللباس أحب إليَّ؛ لأنه تابع الريش (ذلك خير) فرفع خير بذلك"[٦]، والنصب عند الطبري (ت ٣١٠هـ) كذلك وهو قوله: "وهذه القراءة أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب–أعني نصب قوله : (ولباس التقوى)؛ لصحة معناه في التأويل..."[٧].

وتابع الزجاج (ت ٣١١هـ) الفراء في توجيهه، إذ قال: "فمن نصب عطف به على "الريش"، يكون المعنى: "أنزلنا عليكم لباس التقوى" ويرفع خيراً بذلك"[٨].

وهناك توجيهان آخران لقراءة النصب في قوله تعالى: (ولباسَ التقوى)،

الأول: نصبه عطفاً به على "لباس" في قوله تعالى: (أنزلنا عليكم لباساً)[٩] والعامل فيه "أنزلنا"[١].

---

[١] ينظر اعراب القرآن:١٢٠/٢.

[٢] المصدر نفسه:١٢١/٢.

[٣] روح المعاني: ١٠٤/٨.

[٤]قراءة نافع وابن عامر والكسائي وأبي جعفر، ينظر السبعة في القراءات:٢٨٠ العنوان في القراءات السبع:٩٥، إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى:٣٢٨، والنشر في القراءات العشر: ٢٦٨/٢، واتحاف فضلاء البشر:٢٢٣.

[٥] الكشاف: ٩٣/٢.

[٦] معاني القرآن، الفراء: ٣٧٥/١.

[٧] جامع البيان: ١٥٠/٨.

[٨] معاني القرآن واعرابه: ٣٢٨/٢.

[٩] ينظر:الكشف: ٤٦١/١، والتفسير الكبير:٥١/١٣، والتحرير والتنوير:٩٥/٨.

والآخر: نصبه بفعل مضمر، والتقدير: "أنزلنا لباس التقوى"[٢].

ومهما يكن فإن لكلتا القراءتين وجهاً صحيحاً من ناحية الإعراب. أمّا من حيث المعنى فالرفع أفضل، كما بيّن مكي[٣] وهي المختارة والمحببة إليه؛ لأن عليها اكثر القراء، والنصب حسن. كما أن سبحانه وتعالى انزل على بني آدم نعمة ظاهرة فعملوا منها لباساً يوارى سوءاتهم أما لباس التقوى فلم يكن بالنعمة الظاهرة بل كامنة في ضمير الإنسان وتتم باختياره، وأشار الزمخشري إليها بقوله: "ولباس الورع والخشية من الله"[٤].

وفضَّل أحدهم قراءة الرفع على تفسير أن الواو استدراكيه بتقدير: "ولكن لباس التقوى ذلك خير"[٥]. والله أعلم.

٢-قوله تعالى: **(كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا)** (الإسراء/٣٨).

---

[١] ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٣٣٧/٨، والتفسير الكبير: ٥١/١٣.

[٢] ينظر: الجامع لاحكام القرآن: ١٨٥/٧.

[٣] ينظر: الكشف: ٤٦١/١.

[٤] الكشاف: ٩٣/٢.

[٥] ينظر: قراءة حمزة بن حبيب، دراسة نحوية وصرفية:٣٢.

ورد وجهان من القراءة في قوله تعالى: (سيِّئُهُ) ذكرهما الزمخشري، هما:

١-الرفع والإضافة إلى ضمير (كل)

٢-النصب والتنوين

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلا الوجهين، وذلك وفقاً للآتي:

الوجه الأول: الرفع والإضافة إلى ضمير كل، ذكره بقوله:

"قرئ: (سيئة) و(سيئه)[١] على إضافة سيء إلى ضمير كل، وسيئاً في بعض المصاحف، وسيئات. وفي قراءة أبي بكر الصديق (رضى الله عنه). كان شانه. فإن قلت: كيف قيل سيئه مع قوله مكروها؟ قلت: السيئة في حكم الأسماء. بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات، فلا اعتبار بتأنيثه"[٢].

في قوله عز وجل: (سيِّئُهُ) جاء الاسم مرفوعاً بوصفه اسم كان[٣] ومضافاً إلى الضمير "الهاء"، فحجة من أضافه أنه تقدم الاسم أمور منها الحسن والسيء، فالحسن[٤] كقوله تعالى: (وقَضَى رَبُّكَ إلا تعبدوا إلاَّ إيَّاهُ وبالولدينِ إحسَنًا) (الإسراء/٢٣)، وقوله تعالى: (وَءَاتِ ذَا القُربَى حَقَّهُ) (الإسراء/٢٦) وغيرها... والسيء منها هو ما نهى عنه، كقوله تعالى: (ولا تقتُلوا أولدَكُم خَشيَةَ إمْلاقٍ) (الإسراء/٣١)، وقوله تعالى: (ولا تقربُوا الزِّنى إنَّهُ كان فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) (الإسراء/٣٢) وغيرها، فلا يخبر عن الجميع بأنه سيئة فيدخل المأمور به في المنهى عنه[٥] ويعضد هذه القراءة أن قراءة أُبيّ وعبد الله بن مسعود "كل ذلك كان
سيئاته) بالجمع مضافاً للهاء التي للمذكر الغائب[٦]

---

[١] قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، ينظر: السبعة في القراءات:٣٨٠، والتبصرة في القراءات:٢٢٤، والعنوان في القراءات السبع: ١٢٠، وارشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى: ٤٠٩، ٤١٠، واتحاف فضلاء البشر: ٢٨٣.

[٢] الكشاف: ٦٢٤/٢.

[٣] ينظر: الكشف ٤٦/٢.

[٤] المصدر نفسه: ٤٧/٢.

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٢/١٠.

[٦] ينظر: الحجة/ابن خالوية: ١٩٢، والبحر المحيط: ٣٨/٨.

واختار الزجاج القراءة بالإضافة وردّ من قرأ بالوجه الآخر حيث قال: "وكان أبو عمرو لا يقرأ سيئه، ويقرأ سيئة، وهذا غلط؛ لأن الأقاصيص سيء وغير سيء؛ وذلك أن فيها: (وقُل لّهُما قولاً كريماً واخفض لهما جَنَاحَ الذُّلِّ مِن الرَّحمة)(الإسراء/٢٣-٢٤). وفيها: (وآتِ ذا القربى حقَّهُ والمسكين وابن السَّبيل) (الإسراء/٢٦)، (واوفُوا بالعهد) (الإسراء/٣٤)، (ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالّتي هي أحسنُ) (الإسراء/٣٤)، أي أقربوه بالتي هي أحسن.

ففيما جرى من الآيات سيء وحسن، فسيئه بلا تنوين أحسن من سيئة هاهنا"[١].

وذكر النحاس أنّ أبا حاتم وأبا عبيد وأبا اسحاق اختاروا هذا الوجه من القراءة بقوله: "واختار أبو حاتم وأبو عبيد وأبو اسحاق (كُلُّ ذلك كان سيّئُهُ عِند ربِّك مَكُرُوهاً) فاحتجوا بأشياء قد تقدمت حسان منها (وبالوالدينِ إحسَاناً) ومنها (وقُل لّهُمَا قولاً كريماً) واحتج أبو حاتم بقوله (مَكُرُوها) ولم يقل مكروهة"[٢].

ونجد أن صاحب اعراب القرآن قد ردّ هذا الاحتجاج بقوله: "لا يلزم من هذه الاحتجاجات شيء؛ لأن الأشياء الحسان تقدمت في باب الأمر ثم جاء النهي، فجاء بعده (كُلُّ ذلك كان سيئُهُ عند ربك مكروهاً) لما نهى عنه، وقال مكروهاً، ولم يقل: مكروهة؛ لأنه عائد على لفظ (كل) وهو خبر ثانٍ عن مضمر الذي في كان والمضمر مذكر"[٣].

الوجه الثاني: النصب والتنوين، ذكره صاحب الكشاف بقوله:

"قرئ سيئهُ[٤]...ولا فرق بين من قرأ سيئه وسيئاً. ألا تراك تقول: الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة، فلا فرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث. فإن قلت: فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن، ولذلك قرأ من قرأ(سيئه) بالإضافة،

---

[١] معاني القرآن واعرابه: ٣/٢٤١،٢٤٠.

[٢] إعراب القرآن: ٢/٤٢٥.

[٣] المصدر نفسه: ٢/٤٢٥.

[٤] قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو، ينظر: السبعة في القراءات: ٣٨٠، والتبصرة في القراءات: ٢٢٤، والنشر في القراءات العشر: ٢/٣٠٧، واتحاف فضلاء البشر: ٢٨٣.

فما وجه من قرأ سيئه؟ قلت: كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة"[١].

على قراءة النصب والتنوين يعرب على أنه خبر كان، وأُنِث حملاً على معنى كل[٢]. فحجة من قرأ بالنصب والتنوين ساقها ابن خالويه بقوله: "فالحجة لمن فتح الهمزة وأعرب الهاء أنه جعلها واحدة من السيئات، ودليله إن كان ما نهى الله (عزّ وجل) عنه سيئا مكروها، ليس فيه مستحسن، لقوله: (خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً وآخَرَ سَيِّئاً) (التوبة/١٠٢)، فالسيء ضد الصالح"[٣]

وقد اقتفى أثره مكي بقوله: "وحجة من لم يضعف أنه لما تمّ الكلام على (تأويلاً) وابتدأ بقوله: (ولا تَقْفُ ما ليس لكَ بهِ عِلمٌ إنَّ...) (الإسراء/٣٦) وذكر ما بعده، كان كله سيئاً ليس فيه ما يحسن فعله، قال بعده: (كل ذلك كان سيئه) إذ فعل جميعه سيء"[٤].

يتضح بذلك أن "السيئة" الأمور الأخيرة التي نهى ربنا عنها، والى هذا ذهب كلٌّ من الرازي(ت ٦٠٦هـ)[٥] والقرطبي(ت ٦٧١هـ)[٦].

وتجدر الإشارة إلى أن الطبري(ت ٣١٠هـ) يرى أن من قرأ بهذه القراءة يكون قد قدّم وأخّر في الكلام وجعل (مَكرُوهاً) نعتاً "للسيئة" وهو غير جائز؛ لأنه خلاف لمصاحف المسلمين[٧].

فمن جعل (مَكرُوهاً) نعتاً "للسيئة" عدّ تأنيثها غير حقيقي، فأجاز أن توصف بمذكر وضعّفه أبو علي الفارسي(ت ٣٣٧هـ) فيما نقله عنه القرطبي(ت ٦٧١هـ) :

---

[١] الكشاف: ٦٢٤،٦٢٥/٢.

[٢] ينظر: السراج المنير: ٣٠٦/٢.

[٣] حجة/ابن خالويه: ١٩٢.

[٤] الكشف: ٤٧/٢.

[٥] ينظر: التفسير الكبير: ٢١٢/٢٠.

[٦] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٢/١٠.

[٧] ينظر: جامع البيان: ٨٩/١٥.

"أن المؤنث إذا ذُكِّر فإنما ينبغي أن يكون ما بعده مذكّراً، وإنما التساهل أن يتقدم الفعل المسند إلى المؤنث وهو في صيغة ما يسند إلى المذكر، ألا ترى قول الشاعر:

فلا مزنةٌ ودقتْ ودقها ولا أرض أبقلَ أبقالها[1]

مستقبح عندهم ولو قال قائل: أبقل أرض لم يكن قبيحاً"[2]

لم يفضل صاحب الكشاف أيّاً من القراءتين فكلتاهما سبعية متواترة.

فعلى الرغم من أن قراءة التنوين لا غبار عليها أنّ فيها تأويلاً وتقديراً لا طائل له من ناحية العربية، في الوقت الذي نجد فيه ما يقوي قراءة الرفع والإضافة هو أنّ أُبيّ وابن مسعود قرأا "كل ذلك كان سيئاتُه" بلفظ الجمع مما يعضد هذه القراءة.

كذلك أن ما تقدم قوله تعالى: (كُلّ ذلك كان سيئُهُ) فيه أمور حسنات وسيئات نُهيَ عنها، فلو حكم على الكل بكونه سيئة للزم كون المأمور به سيئة، ولا يجوز، وعليه فقراءة الإضافة فيها المعنى أن ما كان من تلك الأشياء المذكورة سيئة فهو مكروه عند الله[3] والله اعلم.

---

[1] البيت لعامر بن جوين الطائي، ينظر: المذكر والمؤنث، المبرد: ١١٢، وشرح المفصل: ٩٤/٥، وشرح شواهد المغنى: ٣١٩.

[2] الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٣/١٠.

[3] ينظر: التوجيه النحوي للقراءات عند الطبري(رسالة ماجستير):٢٤.

المبحث الثاني

بين الرفع والجرّ:

في ضمن هذا الضرب وردت عدة قراءات، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر نورد ما جاء بشأن قوله تعالى: **(والحَبُّ ذُو العَصفِ والرَّيحانُ)** (الرّحمن/١٢).

فقد ذكر صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى: [والرّيحان] هما:

١-الرفع عطفاً

٢-الجرّ عطفاً

ثم وجّه كلتا القراءتين على النحو الآتي:

الوجه الأول: الرفع عطفاً، ذكره بقوله: "قرئ:... وبالضم[١] على، (وذو الرّيحان)، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقيل: معناه وفيها الرّيحان الذي يشم، وفي مصاحف أهل الشام: (والحب ذو[٢] العصف والريحان) أي: وخلق الحب والريحان، أو وأخص الحب والرّيحان. ويجوز أن يراد: وذا الرّيحان، فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه"[٣].

فـ(الرّيحان) مرفوع ومعطوف على ما قبله وهو قوله تعالى: (والحبُّ)[٤] على تقدير: "فيها الحبّ ذو العصف وفيها الرّيحان"[٥].

ويرى مكي غير ذلك بقوله: "وحجة من رفع الثلاثة أنه عطف ذلك على المرفوع المبتدأ قبله وهو قوله تعالى: (فيها فاكهة والنخل) "[٦].

---

[١] قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم، ينظر: السبعة في القراءات: ٦١٩، وإرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى: ٥٧٧، والنشر في القراءات العشر: ٢/٣٨٠.

[٢] اظنه يقصد ((والحب ذا...)) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣/١١٣.

[٣] الكشاف: ٤/٤٤٤.

[٤] ينظر: الحجة/ابن خالويه: ٣١١، وحجة أبي زرعة: ٦٩١، والتفسير الكبير: ٢٩/٩٤.

[٥] حجة أبي زرعة: ٦٩١.

[٦] الكشف: ٢/٢٩٩.

وقد تابعه في هذا الرأي كل من العكبري(ت ٦١٦هـ)[١] والشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)[٢].

وذهب الرازي (ت ٦٠٦هـ) مذهباً في الرفع ليس بعيداً عما ذهب إليه الزمخشري بأن الرفع عطف على الحبّ، وذلك باحتماله وجهين إذ قال: "وبالرفع عطفا على الحبّ وهذا يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون المراد من الرّيحان المشموم، فيكون أمراً مغايراً للحب، فيعطف عليه، والثاني: أن يكون التقدير: ذو الرّيحان بحذف المضاف، واقامة المضاف إليه مقامه كما في (واسأل القرية) (يوسف/٨٢)"[٣].

الوجه الثاني: الجرّ عطفاً، إذ قال فيه الزمخشري:

"قرئ: (والرّيحان)[٤] بالكسر. ومعناه: والحبّ ذو العصف الذي هو علف الأنعام، والرّيحان الذي هو مطعم النّاس"[٥].

فقوله عزّ وجل: (والرّيحان) على هذا التوجيه مجروراً ومعطوفاً على ما قبله وهو قوله عزّ وجل: (ذو العصف)[٦]؛ ليكون التقدير: "والحب ذو العصف وذو الرّيحان"[٧].

هذا مذهب الفراء من قبل: حين قال: " (والحبُّ ذو العصفِ والرّيحانِ) خفضها الأعمش، ورفعها النّاس، فمن خفض أراد: ذو العصف وذو الرّيحان"[٨].

---

[١] ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن: ١٩٨/٢.

[٢] ينظر: فتح القدير: ١٣٠/٥.

[٣] التفسير الكبير: ٩٥/٢٩.

[٤] قراءة حمزة والكسائي، ينظر: السبعة في القراءات: ٦١٩، وإرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى: ٥٧٧، والاقناع في القراءات السبع ٧٧٨/٢، والنشر في القراءات العشر: ٣٨٠/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٤٠٥.

[٥] الكشاف: ٤٤٤/٤.

[٦] ينظر: الحجة/ ابن خالويه: ٣١١، وحجة أبي زرعة: ٦٩٠، والتفسير الكبير: ٩٤/٢٩، وصفوة البيان لمعاني القرآن: ٢٣٠/٢.

[٧] ينظر: حجة أبي زرعة: ٩٦٠، والكشف: ٢٩٩/٢.

[٨] معاني القرآن، للفراء: ١١٣/٣.

ورجح الطبري قراءة الخفض حين قال: "وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالخفض..."[١].

وتابع النّحاس سابِقِيه في تناول هذا الوجه إذ قال: "وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي (ذو العصفِ والرّيحان) بالخفض بمعنى: وذو الرّيحان"[٢].

وقد تناول النحاة والمفسرون قوله تعالى: (والرّيحانَ) وهو منصوباً[٣] ومعطوفاً على الاسم المنصوب قبله في قوله تعالى: (والأرضَ وضعها للأنام) (الرحمن/٥)[٤] أو على إضمار فعل، أي: أخص، أو أخلق[٥].

وقال الفراء: "ولو قرأ قارئ: (والحبُّ ذا العصف والرّيحانَ) لكان جائزاً، أي خلق ذا وذا، وهي في مصاحف أهل الشام: والحبّ ذا العصف"[٦].

مما لا شك فيه أنَّ القراءات الثلاث صحيحه من الوجهة الإعرابية، إلاَّ أن (الريحانُ) أي: قراءة الرفع أظهر في المعنى؛ لأنها على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف إليه مقامه. والله أعلم.

---

[١] جامع البيان: ١٢٣/٢٧.

[٢] إعراب القرآن: ٣٠٥/٤.

[٣] قراءة ابن عامر، ينظر: السبعة في القراءات: ٦١٩، والعنوان في القراءات السبع: ١٨٤، اتحاف فضلاء البشر: ٤٠٥، والاقناع في القراءات السبع: ٧٧٨/٢.

[٤] ينظر: الكشف: ٢٢٩/٢، وحجة أبي زرعة: ٦٩٠، وفتح القدير: ١٣٠/٥.

[٥] ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ٢٥١/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٤٠٥، وفتح القدير: ١٣٠/٥.

[٦] معاني القرآن، للفراء: ١١٤/٣.

٢-قوله تعالى: **(رَبِّ السَّمَواتِ والأرضِ وما بينهما الرّحمنِ لا يملِكُونَ مِنهُ خِطابًا)** (النبأ/٣٧)

ذكر صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى: (ربّ)، هما:

١-الرفع على الابتداء، أو الخبر.

٢-الخفض على البدلية.

وقد أورد التوجيه النحوي للوجهين، على النحو الآتي:

الوجه الأول: الرفع على الابتداء، أو الخبر، ذكره بقوله:

" قرئ (ربّ السّماوات) و (الرحمن) بالرفع[١]، على: هو ربّ السماوات الرحمن. أو ربّ السّماوات مبتدأ، والرحمن صفة، ولا يملكون: خبر أوهما خبران "[٢].

من رفع قوله تعالى: (ربّ) فله وجهان:

الأول: رفعه على الابتداء والاستئناف[٣] بقطعه عما قبله، فتم الكلام عند قوله تعالى: (عطاءً حساباً) (النبأ/٣٦)[٤] أما قوله تعالى: (الرحمن) فهو مرفوعٌ بوصفه خبراً لـ"ربّ"[٥].

وكثير من النحاة والمفسرين جعل الجملة الفعلية (لا يملكون) خبراً و(الرحمن) صفتين أو نعتين كليهما لقوله تعالى: (ربّ) وهو ما ذهب إليه كل من النحاس[٦]، والرازي[٧]، والنسفي[٨](ت٧٠١هـ).

الثاني:- الرفع على الخبر، فيكون قوله تعالى: (ربُّ) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "هو" ، ليكون المعنى "هو ربّ السّماوات"، و"الرحمن" صفته و"لا يملكون" خبره[٩].

---

[١] قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم في رواية المفضل وأبي جعفر، ينظر: السبعة في القراءات: ٦٦٩، والتبصرة في القراءات: ٣٩٦، واتحاف فضلاء البشر: ٤٣١.

[٢] الكشاف: ٦٩٠/٤.

[٣] ينظر: الحجة/ ابن خالويه: ٣٣٤، وحجة أبي زرعة: ٧٤٧.

[٤] ينظر: ايضاح الوقف والابتداء: ٩٦٣/٢.

[٥] ينظر: فتح القدير: ٣٥٨/٥.

[٦] اعراب القرآن ١٣٦/٥.

[٧] التفسير الكبير ٢٢/٣١.

[٨] مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣٧٤/٤.

[٩] ينظر: اعراب القرآن: ١٣٦/٥، والبحر المحيط :٤١٥/٤، وفتح القدير :٣٥٨/٥.

وكان الزّجاج قد سبق إلى هذا الوجه الأخير، فأعرب قوله تعالى: (ربّ) على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" ورفع "الرحمن" بعده[١].

الوجه الثاني: الخفض على البدلية، ذكره الزمخشري بقوله:

"وبالجرّ[٢] على البدل من ربك، وبجر الأوّل، ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره (لا يملكون) أو هو الرّحمن لا يملكون والضمير في (لا يملكون) لأهل السّماوات والأرض،أي: ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرف فيه تصرف الملاك، فيزيدون فيه أو ينقصون منه. أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب، إلَّا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه"[٣].

فالحجة لمن خفض "ربّ" أنه اتبعه الجرّ في قوله تعالى: (من ربّك) فأعرب بدل[٤] أو صفة له[٥].

أمّا قوله تعالى: (الرحمن) فلرفعه وجهان:

الأوّل: يكون مرفوعاً إمّا صفه وإمّا بدلاً وإمّا عطف بيان وهو ما ذهب إليه أبو حيان(ت ٧٤٥هـ)[٦] والآلوسي(ت ١٢٧٠هـ)[٧].

الآخر: الرفع على الاستئناف والقطع من قوله تعالى: (ربّ) فجعله مبتدأ والخبر جملة (لا يملكون منه خطاباً)[٨]

---

[١] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٢٧٥/٥.

[٢] قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب، ينظر: السبعة في القراءات: ٦٦٩، والتبصرة في القراءات: ٣٦٩، والعنوان في القراءات السبع: ٢٠٢، ط١٩٨٠/١، والنشر: ٣٩٧/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٤٣١.

[٣] الكشاف: ٦٩١/٤.

[٤] ينظر: الحجة/ابن خالويه: ٣٣٤، والكشف: ٢٦٤/٢، وفتح القدير: ٣٥٩/٥، وروح المعاني: ١٩/٣٠.

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٥/١٩.

[٦] ينظر: البحر المحيط: ٤١٥/٤.

[٧] ينظر: روح المعاني: ١٩/٣٠.

[٨] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣٥١/٢، والحجة/ابن خالويه: ٣٣٤، وحجة أبي زرعة: ٧٤٧-٧٤٨، والتفسير الكبير: ٢٢/٣١.

والهاء في (منه) عائده على (الرحمن)[١] أو يكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "هو" على معنى: "هو الرحمن لا يملكون من خطاباً"[٢].

والزجاج يرى أن قوله تعالى: (ربّ) على قراءة الخفض تجعله صفه لقوله تعالى: (مِن رَبِّك)[٣]. وكان أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) ممن اختاروا قراءة الخفض حين قال: "هذه القراءة أعد لها، فخفض (ربّ)؛ لقربه من (ربك) فيكون نعتاً له ورفع (الرحمن) لبعده منه على الاستئناف، وخبره (لا يملكون) "[٤].

وتبع الطبري أبا عبيد في الرأي نفسه فقال: "إنّ الخفض في الربّ لقربه من قوله: (جزاءً من ربّك) أعجب إليَّ، وأمّا (الرحمن) بالرفع فإنه أحسن؛ لبعده من ذلك"[٥].

والرحمن صفة من صفاته–جلّ شأنه– وتعني المشتهر بالرحمة، ففي الآية تعداد لصفاته تعالى، ثم قطع (الرحمن) بالرفع فأصبح مبتدأ، وهو أثبت وأكثر دواماً في جملته، و(لا يملكون منه خطاباً) خبره.

والقراءتان صحيحتان من حيث الاعراب، وان كان الخفض اكثر ملاءمة مع المعنى؛ لأن من سمات النظم القرآني تعلق الكلمة اللاحقة بالسابقة. والأمر هنا تعدد لصفاته تعالى، والأرجح في معرض تعداد الصفات المخالفة في الإعراب؛ ليكون ثمة لفت نظر لصفة بلغت حداً يثير الانتباه[٦].

---

[١] ينظر: الحجة/ ابن خالويه: ٣٣٤.

[٢] ينظر: فتح القدير: ٣٥٩/٥.

[٣] ينظر : معاني القرآن واعرابه: ٢٧٥/٥.

[٤] الجامع لاحكام القرآن: ١٨٦/١٩.

[٥] جامع البيان: ٢١/٣٠.

[٦] ينظر: قراءة حمزة دراسة نحوية وصرفية: ٣٥، والتوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تفسير الطبري(رسالة ماجستير): ص٤٠.

المبحث الثالث

بين النصب والجرّ:

بضمن هذا المنحنى وردت قراءات عديدة، فمنها ما جاء بشأن قوله تعالى: **(وَقَومَ نُوحٍ مِنّ قبلُ إنَّهم كانوا قومًا فسِقِينَ)** (الذاريات/٤٦).

فقد ذكر صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى: (وقوم) هما:

١-الخفض عطفاً أو بتقدير حرف جر

٢-النصب عطفاً أو بإضمار فعل

ثم وجه كلتا القراءتين توجيهاً نحوياً، وذلك على النحو الآتي:-

الوجه الأول: الخفض عطفاً أو بتقدير حرف جر، ذكره بقوله:

" (وقومَ) قرئ: بالجرّ[١] على معنى: وفي قوم نوح، وتقوّيه قراءة عبد الله: وفي قومِ نوحٍ "[٢].

فمن خفض كان اعتماده انها في حرف عبد الله: "وفي قومِ نوحٍ"[٣]، أو انها في معنى ذلك، أي: وفي قومِ نوحٍ[٤].

وذهب فريق من النحاة والمفسرين إلى أن الخفض عطفاً على قوله تعالى: (وفي ثمودَ...) (الذاريات/٤٣)؛ ليكون المعنى: وفي قومِ نوحٍ آية وعبرة[٥].

والعطف في قوله تعالى: (وفي ثمودَ...) ليس بالأولى على حدِّ قول سيبويه(ت ١٨٠هـ)، وهو أن المعطوف إلى ما هو أقرب إليه أولى، وحكى: حَشَّنْتُ بصدرهِ وصدرِ زيدٍ، وأن الخفض أولى؛ لقربه[٦]، فكذا هذا، فأخذتهم الصاعقةُ أخذَتْ قوم نوح أقرب من

---

[١] قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف، ينظر: السبعة في القراءات: ٦٨١، والكشف: ٢٨٩/٢، والتبصرة في القراءات: ٣٣٥، والنشر في القراءات العشر: ٣٧٧/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٤٠٠.

[٢] الكشاف: ٤٠٦/٤.

[٣] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٨٨/٣.

[٤] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٥٧/٥.

[٥] ينظر: اعراب القرآن: ٢٤٢/٣، وإملاء ما منّ به الرحمن: ٢٤٥/٢، والجامع لاحكام القرآن: ٣٥/١٧، وفتح القدير: ٩١/٥.

[٦] ينظر: الكتاب: ٧٤/١.

أن تردّه إلى ثمود[١].

وردّه الرّازي إلى أنه عطف على: (وفي عادٍ) و(وفي موسى) بقوله: "نقول: أمّا الجرّ فظاهر عطفاً على ما تقدم في قوله تعالى: (وفي عادٍ...) (الذاريات/٤١) و(وفي موسى...) (الذاريات/٣٨)، تقول: لكَ في فلان عبرة وفي فلان وفلان"[٢].

بضمن احتجاج أبي عبيد للنصب ذكر أنّ: "العرب إذا تباعدَ مابين المخفوض وما بعده لم يعطفوه عليه ونصبوه، قال الله جلّ وعزّ: (وأتُبِعُوا في هذه الدُّنيا لعنةً ويومَ القيامة) (هود/٦٠)، ولا نعلم أحداً خفض، وقال جل وعزّ: (فبشّرنَاها بإسحاقَ ومن ورَاءِ إسحاقَ يعقوبُ) (هود/٧١)، فرفع اكثر القرّاء[٣] ولم يعطفوه على ما قبله"[٤].

الوجه الثاني: النصب عطفاً أو بإضمار فعل، ذكره الزمخشري بقوله:

"وبالنصب[٥] على معنى: وأهلكنا قوم نوح؛ لأنّ ما قبله يدل عليه. أو وأذكر قوم نوح"[٦]

فالنصب هنا على وجهين ويليهما ثالث:

الأوّل:على تقدير:"فأخذتهم الصّاعقةُ" في الآيات السابقة وأخذت قوم نوح[٧]،ومعنى أخذتهم الصّاعقة أهلكناهم، فالمعنى:فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح من قبل[٨]؛لأن ما قبله يدل عليه[٩]

---

[١] ينظر: اعراب القرآن: ٢٤٣/٣.

[٢] التفسير الكبير: ٢٢٥/٢٨.

[٣] قراءة حفص وابن عامر وحمزة بفتح الباء والباقون بالرفع، ينظر: التبصرة في القراءات: ٢٢٤، والتيسير: ١٢٥، واتحاف فضلاء البشر: ٢٥٨.

[٤] اعراب القرآن: ٢٤٣/٣.

[٥] قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم، ينظر: السبعة في القراءات: ٦٨١، والكشف: ٢٨٩/٢، والتبصرة في القراءات: ٣٣٥، والنشر في القراءات العشر: ٣٧٧/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٤٠٠.

[٦] الكشاف: ٤٠٦/٤.

[٧] ينظر:معاني القرآن،للفراء: ٨٨/٣،ومعاني القرآن واعرابه:٥٧/٥

[٨] ينظر : معاني القرآن واعرابه:٥٧/٥ والتفسير الكبير:٢٢٥/٢٨،والجامع لأحكام القرآن:٣٥/١٧،واتحاف فضلاء البشر:٤٠٠

[٩] ينظر: التفسير الكبير:٢٢٥/٢٨،وإملاء ما منّ به الرحمن:٢٤٥/٢، واتحاف فضلاء البشر:٤٠٠.

فهو عطف على المحل[١].

الثاني:أن يرد على قوله تعالى(فَأَخَذنـهُ وجنودَهُ فنبذنهم في اليمِّ) (الذاريات/٤٠) على تقدير :فأغرقناهم وأغرقنا نوحاً[٢]، وقال عنه النحّاس إنهُ قول حسن[٣]،وسبقه إلى هذا القول الزجّاج[٤].

الثالث:إضمار فعل–واذكر لهم قوم نوح[٥]، وقال عنه الفراء:"ووجه آخر ليس بأبغض إليّ من هذين الوجهين:أن تضمر فعلاً– (واذكر لهم قوم نوح)[٦].

الصّواب من القول إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى وكذا جهة الإعراب، وإن كنت أميل إلى أنّ قراءة النصب اكثر صحة في الأعراب والمعنى، واتفق مع أبي عبيد بما احتج به للنصب بأنّ قبله فيما كان مخفوضا من القصص كلها بيان ما نزل بهم نحو قوله تعالى: (وفي عَادٍ إذ أرسَلنا عليهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ) (الذاريات/٤١) ، وليس هذا في قومِ نوح، فهو ليس معطوفاً على الخفض؛ لأنه مخالف له[٧] وقال: "فكيف يكون وفي قومِ نوحٍ ولا يذكر ما نزل بهم"[٨].

والعرب إذ تباعد ما بين المخفوض وما بعده ولم يعطفوه عليه بل اعملوا فيه النصب[٩] والله اعلم.

---

[١] ينظر : التفسير الكبير:٢٢٥/٢٨.

[٢] ينظر: إعراب القرآن: ٢٤٢/٣،الكشف:٢٨٩/٢،والحجه/ابن خالويه:٣٣٢

[٣] ينظر : إعراب القرآن: ٢٤٢/٣

[٤] ينظر : معاني القرآن وإعرابه: ٥٧/٥

[٥] ينظر:معاني القرآن للفراء: ٨٨/٣ ،والجامع لأحكام القرآن:٣٥/١٧،واتحاف فضلاء البشر :٤٠٠،وفتح القدير:٩١/٥

[٦] معاني القرآن للفراء:٨٩/٣

[٧] ينظر: إعراب القرآن: ٢٤٣/٣.

[٨] المصدر نفسه: ٢٤٣/٣.

[٩] المصدر نفسه: ٢٤٣/٣.

٢-قوله تعالى: **(إِنَّ ربَّكَ يعلمُ أنَّكَ تقومُ أدنى مِن ثُلُثَيِ الَّيلِ ونِصفَهُ وَثُلُثَهُ وطائفةٌ من الذَّينَ مَعَكَ)** (المزمل/٢٠).

ذكر صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى: (ونصفهُ وثلُثَهُ)، هما:

١-النصب عطفاً

٢-الجرّ عطفاً

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلتا القراءتين على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: النصب عطفاً، ذكره بقوله:

"وقرئ (ونصفَه وثلثَه) بالنصب[١] على أنك تقدم أقل من الثلثين، وتقوم النصف والثلث:وهو مطابق لما مرّ في أوّل السورة: من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه-وهو الثلث- وبين قيام الزائد عليه- وهو الأدنى من الثلثين"[٢].

من قرأ بالنصب أراد: تقوم أدنى من ثلثي الليل[٣]، وتقوم نصفه وثلثه[٤]؛ لأنه قال: أقل من الثلثين، وكان نصفه مبيّناً لذلك الأدنى[٥].

ويكون قوله تعالى: (ونصفَهُ) معطوفاً على قوله تعالى: (أدنى) المنصوب ظرفاً بـ"تقوم"[٦]. وقوله تعالى: (ثلثَهُ) معطوفاً على قوله تعالى: (نصفَهُ)[٧].

---

[١] قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، ينظر: التبصرة في القراءات: ٣٦٣، والتيسير: ٢١٦، الاقناع في القراءات السبع ٧٩٦/٢. وتقريب النشر في القراءات العشر: ١٨٤، واتحاف فضلاء البشر: ٤٢٧.

[٢] الكشاف: ٦٤٣/٤.

[٣] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١٩٩/٣، والجامع لاحكام القرآن: ٣٥/١٩.

[٤] ينظر: الجامع لاحكام القرآن: ٣٥/١٩، والبحر المحيط: ٣٦٣/٨، وفتح القدير: ٣٢١/٥.

[٥] ينظر: معاني القرآن واعربه: ٢٤٣/٥.

[٦] ينظر: اعراب القرآن: ٥٣٧/٣، والجامع لاحكام القرآن: ٣٥/١٩، واتحاف فضلاء البشر: ٤٢٧، وفتح القدير: ٣٢١/٥.

[٧] ينظر: فتح القدير: ٣٢١/٥.

وذكر صاحب الدُّر المصون أنّ أبا عبد الله الفاسي[1] يرى أنّ في قراءة النصب إشكالاً ويزول هذا الأشكال بالتقدير، إذ قال: (وفي قراءة النصب إشكال إلاّ أن تقدر نصفه تارة وثلثه تارة وأقل من النصف والثلث تارة فيصح المعنى)[2].

واستبعد الفرّاء وأقل من نصفه؛ لأنه إنما تُبيّنُ القليل عنده إلا أقلّ القليل[3].

واختار كل من الفرّاء[4] والزجاج[5] قراءة النصب، لأنها أشبه بالصّواب وبينه حسنة.

امّا الوجه الثاني: الجرّ عطفاً فقد ذكره الزمخشري بقوله:

"وقرئ (ونصفِه)، و(وثلثِه): بالجرّ[6]، أي: تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث، وهو مطابق للتخيير بين النصف: وهو أدنى من الثلثين والثلث: وهو أدنى من النصف. والربع: وهو أدنى من الثلث، وهو الوجه الأخير"[7].

أما معنى الجرّ في قوله تعالى: (ونصفِهِ وثلثِهِ) فقد ذهب فريق من النحاة والمفسرين إلى أنَّ المعنى عند مِن خفض أنه أراد: تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وأقل من الثلث[8].

وفريق آخر يرى أنّ المعنى: تقوم أدنى من نصفه وأدنى من ثلثهِ[9]، ويكون الخفض عطفاً على ثلثي الليل المجرور بمن[10].

---

[1] لم أقف على ترجمته.

[2] الدّر المصون: ٤١٠/٦.

[3] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١٩٩/٣، واعراب القرآن: ٥٣٧/٣، والجامع لاحكام القرآن: ٣٥/١٩.

[4] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١٩٩/٣.

[5] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٢٤٣/٥.

[6] قراءة أبي عمرو ونافع وابن عامر ابي جعفر، ينظر: التبصرة في القراءات: ٣٦٣، والتيسير : ٢١٦،و الاقناع في القراءات السبع: ٧٩٦/٢، وتقريب النشر في القراءات العشر: ١٨٤، واتحاف فضلاء البشر: ٤٢٧.

[7] الكشاف: ٦٤٣/٤.

[8] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١٩٩/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٣٥/١٩، وفتح القدير: ٣٢١/٥.

[9] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٢٤٣/٥، واعراب القرآن: ٥٣٧/٣.

[10] ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٣٢٧، وفتح القدير: ٣٢١/٥.

وأختار أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) الخفض محتجين أن بعده قوله تعالى: (عَلِمَ أَنْ لَّنْ تُحصُوهُ) فكيف يقومون نصفه وثلثه وهم لا يحصونه[١].

ويرى النحاس أن الاحتجاج بـ(علم أن لن تحصوه) لا معنى له حيث قال: "والاحتجاج بعلم أن لن تحصوه لا معنى له؛ لأنه لم يخبر أنهم قالوا: قمنا نصفه وانما أخبر بحقيقه ما يعلمه"[٢]

والقراءتان صحيحتان من حيث الإعراب، وإن كان النصب اكثر انسجاماً مع المعنى، لأن من نصب أراد: تقوم أدنى من الثلثين، أي النصف أو الثلث؛ لأنه قال: أقل من الثلثين، ثم ذكر تفسير القلة لا تفسير أقل من القلة. وبهذا الصدد ذكر الفرَّاء أنك تقول للرجل: "لي عليك أقل من ألف درهم ثماني مائه أو تسع مائه، كأنه أوجه في المعنى من أن تفسر –قلة– أخرى وكلٌّ صواب"[٣] والله أعلم.

[١] ينظر: اعراب القرآن: ٥٣٧/٣، والجامع لأحكام القرآن: ٣٥/١٩، وفتح القدير: ٣٢١/٥.

[٢] معاني القرآن، للفراء: ١٩٩/٣.

[٣] المصدر نفسه.

المبحث الرابع

بين الرفع والنصب والجرّ:

وفي ضمن هذا المنحنى وردت عدة قراءات، نورد منها قوله تعالى: **(تَنزِيلَ العزيزِ الرّحيمِ)** (يس/٥).

ذكر الزمخشري ثلاثة أوجه من القراءة في قوله تعالى: (تنزيل) هي:

١- الرفع على الخبرية

٢-النصب على تقدير فعل

٣ -الخفض على البدلية أو النعت

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي للقراءات الثلاث على النحو الآتي:-

الوجه الأول: الرفع على الخبريّة، إذ قال: "وقرئ: (تنزيل العزيز الرحيم) بالرفع[١] على انه خبر لمبتدأ محذوف"[٢].

ففي قوله تعالى: (تنزيل) وجهان للرفع:

أحدهما: الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف على تقدير: "إنه تنزيل العزيز الرحيم"[٣] أو "هو تنزيل"[٤] أو إذا جعلت (يس) اسماً أي هذه السورة المسماة يس تنزيل[٥].

أما الآخر: فرفعه بالابتداء، أي أنه كلام مستأنف مقطوع عما قبله من قوله تعالى: (إنَّكَ لمن المرسلين) (يس/٣) على تقدير: "هذا تنزيل العزيز الرّحيم"، وعليه يكون (تنزيلُ) مرفوعاً خبراً لمبتدأ[٦]، منوي فيه الإضمار.

ورَفْع (تنزيل) عند الفراء خبراً ثالثاً إذ قال: "ومن رفعها جعلها خبراً ثالثاً: إنك لتنزيل العزيز الرحيم ، ويكون رفعه على الاستئناف، كقولك: ذلك تنزيل العزيز

---

[١] قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، ينظر: السبعة في القراءات: ٥٣٩، والتبصرة في القراءات: ٣٠٦، والنشر في القراءات العشر: ٣٥٣/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٣٦٣.

[٢] الكشاف: ٦/٤.

[٣] ينظر: جامع البيان: ١٤٩/٢٢.

[٤] ينظر: الكشف: ٢١٤/٢، وحجة القراءات: ٥٩٥، إملاء ما منّ به الرحمن: ١٠٧٨/٢، والبحر المحيط: ٣٢٣/٧.

[٥] ينظر: الدّر المصون: ٤٧٥/٥، وفتح القدير: ٣٦٠/٤.

[٦] ينظر: الحجة/ ابن خالويه: ٢٧٢، والتفسير الكبير: ٤٢/٢٦.

الرحيم. كما قال: (لم يَلْبثوا إلّا ساعةً مِنْ نَّهار بلاغ) (الاحقاف/٣٥) أي ذلك بلاغ"[١].

ويرى الزجاج المبتدأ من زاوية أخرى، إذ قال: "ومن رفع فعلى معنى (الذي أنزل إليك تنزيل العزير الرحيم). "[٢].

وذهب النحاس المذهب نفسه، فقال: "فالرفع على اضمار مبتدأ أي: (الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم) "[٣]

الوجه الثاني: النصب على تقدير فعل، ذكره الزمخشري بقوله:

"وقرئ: (تنزيل العزيز الرحيم)...وبالنصب[٤] على أعني"[٥]

فقوله تعالى: (تنزيل) منصوب بفعل مضمر تقديره أعنى، فيكون المعنى: "والقرآن الحكيم أعني تنزيل العزيز الرحيم إنك لمن المرسلين"[٦].

أما جموع النحاة والمفسرين فيرون أنّ قوله تعالى: (تنزيل) منصوب على أنه مصدر[٧] لفعل مضمر مفهوم من معنى الكلام[٨] ويكون تقدير الكلام: "لمنزل

تنزيل العزيز الرحيم حقا"[٩] أو "نزّل الله ذلك تنزيلاُ"[١] أو "نزل تنزيل العزيز الرحيم"[٢].

---

[١] معاني القرآن للفراء: ٣٧٢/٢.

[٢] معاني القرآن واعرابه: ٢٧٨/٤.

[٣] اعراب القرآن: ٣٨٣/٣.

[٤] قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف، ينظر: السبعة في القراءات: ٥٣٩، وإرشاد المبتدى وتذكرة المنتهى: ٥١٤، والتبصرة في القراءات: ٣٠٦، والنشر في القراءات العشر: ٣٥٣/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٣٦٣.

[٥] الكشاف: ٦/٤.

[٦] ينظر: التفسير الكبير: ٤٢/٢٦.

[٧] ينظر: الحجة/ابن خالويه: ٢٧٢، والكشف: ٢١٤/٢، إملاء ما منّ به الرحمن: ١٠٧٨/٢.

[٨] ينظر:حجة أبي زرعة: ٥٩٥.

[٩] ينظر: جامع البيان: ١٤٩/٢٢.

وهناك من يرى أن قوله تعالى: (تنزيل) منصوب على المدح[٣] وهو في المعنى كالرفع على خبر ابتداءٍ مضمر[٤].

الوجه الثالث: الخفض على البدلية، ذكره الزمخشري بقوله:

"وقرئ: (تنزيل العزيز الرحيم)...وبالجرّ[٥] على البدل من القرآن "[٦].

فعلى قراءة الخفض يكون قوله تعالى: (تنزيل)؛ إما بدلاً من القرآن، وقد وجّه به كل من النحاس وفخر الدين الرازي والعكبري وأبي حيان والقرطبي[٧].

وإما نعتاً وقد وجّه به كل من السمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ) والشوكاني(ت ١٢٥٠هـ) وصدَّيق حسن خان[٨] (ت ١٣٠٧هـ).

الذي يبدو لي أنّ القراءات الثلاث صحيحة من الوجهة الإعرابية إلاّ أنَّ (تنزيلِ) أي: قراءة الخفض أظهر في المعنى؛ لأن الخفض يجعل التنزيل يرجع إلى القرآن[٩] عندما يكون بدلاً. والله أعلم.

٢- قوله تعالى: **(هُنَالِكَ الوَلَيَةُ للهِ الحقِّ هُو خَيرٌ ثوابًا وخَيرٌ عُقبًا)** (الكهف/٤٤).

ذكر الزمخشري ثلاثة أوجه من القراءة في قوله تعالى: (الحقّ) هي:

١-الرفع نعتاً أو خبراً

---

[١] ينظر: حجة أبي زرعة: ٥٩٥، والجامع لأحكام القرآن: ٦/١٥.

[٢] ينظر: التفسير الكبير: ٤٢/٢٦.

[٣] ينظر: الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٤٧٥/٥، وفتح القدير: ٣٦٠/٤.

[٤] ينظر: الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٤٧٥/٥.

[٥] قراءة أبي حيوة واليزيدي وأبي جعفر وشيبة والحسن، ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن:١٠٨/٢، والبحر المحيط: ٣٢٣/٧، واتحاف فضلاء البشر: ٣٦٣، القراءات الشاذة من لغة العرب وتوجيهها:٧٦.

[٦] الكشاف: ٦/٤.

[٧] ينظر :اعراب القرآن: ٧٠٩/٢، والتفسير الكبير: ٤٢/٢٦، إملاء ما منّ به الرحمن: ١٠٧٨/٢، والبحر المحيط: ٣٢٣/٧، والجامع لأحكام القرآن: ٦/١٥.

[٨] ينظر: الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٤٧٥/٥، وفتح القدير: ٣٦/٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٧٠/١١.

[٩] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦/١٥.

٢-النصب على التأكيد

٣-الجرّ صفة

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي للقراءات الثلاث على النحو الآتي:

الوجه الأول: الرفع نعتاً أو خبراً، إذ قال:

"قرئ: (الحقّ) بالرفع[١]...صفة للولاية"[٢].

قراءة الرفع في قوله عز من قائل: (الحقُّ) تحتمل وجهين:

الوجه الأوّل: هو ما ذهب إليه جمهور النحاة والمفسرين الأوائل والمتأخرين بأنّ قوله تعالى: (الحقّ) في قراءة الرفع تجعله نعتاً للولاية، وهو ما ذهب إليه أبو زرعة (ت ٣٠٢هـ) بقوله: "قرأ أبو عمرو والكسائي: هنالك الولايةُ لله الحقُّ بالضم جعلا الحقّ نعتاً للولاية. أي: الولاية الحقّ لله"[٣] وتبعه كل من الزجاج[٤] والنحاس[٥] والقرطبي[٦] والجمل[٧].

وفريق ذهب المذهب نفسه مستدلاً بقراءة أُبّي بن كعب: (هنالك الولاية الحقُّ لله) بتقديم الحقّ ورفعه، وهو يرجح كون الحقّ نعتاً للولاية[٨].

وعلى رأس هؤلاء الفراء[٩] وابن خالويه[١٠] وأبو حيان[١١].

---

[١] قراءة أبي عمرو والكسائي، ينظر: التبصرة في القراءات: ٢٤٩، والاقناع في القراءات السبع: ٦٨٩، وتقريب النشر في القراءات العشر: ١٣٧، واتحاف فضلاء البشر: ٢٩٠، والبدور الزاهرة: ١٩٢.

[٢] الكشاف: ٦٧٧/٢.

[٣] معاني القرآن واعرابه: ٢٨٩/٣.

[٤] ينظر: اعراب القرآن ٢٧٨/٢.

[٥] ينظر: حجة أبي زرعة: ٤١٩.

[٦] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٧/١٠.

[٧] ينظر: الفتوحات الإلهيه: ٢٦/٤.

[٨] ينظر: روح المعاني: ٤١١/٩.

[٩] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١٤٦/٢.

[١٠] ينظر: حجة/ابن خالويه: ١٩٩.

[١١] ينظر: البحر المحيط: ١٣١/٦

الوجه الآخر: يتمثل في أن يكون (الحقُّ) خبر مبتدأ محذوف، أي: هي الحقُّ، أو هو الحقُّ. أو أن يكون مبتدأ و(هو خيرٌ) خبره، صرّح بذلك العكبري[١] ونقله عنه الآلوسي[٢].

وأيّد العكبري في رأيه الدمياطي البنّاء مع اختلافه في أن (هو خير) ليس خبراً، فالخبر محذوف أي: الحقُّ ذلك. أي: ما قلناه[٣].

الوجه الثاني: النصب على التأكيد، ذكره الزمخشري بقوله:

"قرأ عمرو بن عبيد بالنصب[٤] على التأكيد، كقولك: هذا عبد الله الحقَّ لا الباطل"[٥].

قراءة النصب في قوله تعالى: (الحقّ) عند النحاة والمفسرين الذين اطلعت على أقوالهم بصدد الآية جائزة، ولكن الفريق الأكبر منهم لا يتناولها في توجيهه بوصفها قراءةً لها ما للقراءات من قارئ وسند وغير ذلك، فيتناولونها على أنّ النصب جائز، أو لو نصبت لكان صواباً، أو يجوز في النحو النصب وما إلى ذلك.

وحجتهم أنهم لا يعلمون قارئاً قرأ بنصب قوله تعالى: (الحقّ)، وهذا هو الزجاج يطالعنا بقوله: " ويجوز الحقَّ، ولا أعلم أحداً قرأ بها"[٦].

وجمهور النحاة والمفسرين يجيز النصب من دون أن يصِّرح بعدم علمه، وعلى رأسهم الفراء،

إذ قال: "ولو نصبت الحقّ على معنى: حقاً كان صوابا"[٧].

---

[١] ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١٠٣/٢.

[٢] ينظر: روح المعاني: ٤١١/٩.

[٣] ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٢٩٠.

[٤] قراءة أبي حيوة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وابن ابي عبله وأبي السمال ويعقوب عن عصمة عن ابي عمرو، ومختصر في شواذ القراءات: ٨٠، والبحر المحيط: ١٣١/٦، وروح المعاني: ٤١١/٩.

[٥] الكشاف: ٦٧٧/٢.

[٦] معاني القرآن واعرابه: ٢٨٩/٣، وينظر : فتح القدير: ٢٨٨/٣.

[٧] معاني القرآن، للفراء: ١٤٦/٢.

والى هذا ذهب النحاس[١] والنصب عنده على المصدر والتوكيد، وهو ما ارتضاه ابن خالويه[٢].

ويضيف الآلوسي قائلاً: "إنه يحتمل أن يكون نعتاً مقطوعاً"[٣].

وقراءة النصب في قوله تعالى: (الحقّ) هي المختارة عند الزمخشري، استمع إليه وهو يصرح في كشافه، إذ يقول: "وهي قراءة حسنة فصيحة، وكان عمر بن عبيد من أفصح النّاس وأنصحهم"[٤]

ولله درّ احمد بن المنير الاسكندري (ت ٦٨٣هـ) حين ردّ عليه معترضاً بقوله: "وقد تقدم الإنكار عليه في مثل هذا القول فإنه يوهم أنّ القراءات موكولة إلى رأي الفصحاء، واجتهاد البلغاء، فتتفاوت في الفصاحة؛ لتفاوتهم فيها، وهذا منكر شنيع. والحقّ: أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصله إليه (صلى الله عليه وآله) منزلاً كذلك من السماء، فلا وقع لفصاحة الفصيح، وإنما هو ناقل كغيره..."[٥]

الوجه الثالث: الجرّ صفة، ذكره الزمخشري بقوله:

"وقرئ: (الحقّ) بالرفع. والجرّ[٦] صفة للولاية والله"[٧].

الحجة لمن قرأ قوله تعالى: (الحقَّ) بالخفض انه:

جعله نعتاً للهِ عز وجل، وهو ما ذهب إليه الفراء[٨]

ولم يختلف النحاة والمفسرون الذين اطّلَعْت على آرائهم في قراءة الخفض في قوله تعالى: (الحقّ)[١] عما ذهب إليه الفراء. والتقدير: "للهِ ذى الحقِّ"[٢].

---

[١] ينظر: اعراب القرآن ٢/٢٧٨.

[٢] ينظر: حجة /ابن خالويه: ١٩٩.

[٣] روح المعاني: ٩/٤١١.

[٤] الكشاف: ٢/٦٧٧.

[٥] الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال هامش على الكشاف: ٢/٦٧٧.

[٦] قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة وابن عامر ينظر: التبصرة في القراءات: ٢٤٩، وتقريب النشر في القراءات العشر: ١٣٧، واتحاف فضلاء البشر: ٢٩٠، وفتح القدير: ٣/٢٨٨، والبدور الزاهرة: ١٩٢.

[٧] الكشاف: ٢/٦٧٧.

[٨] ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٢/١٤٦.

ويرى أبو زرعة[٣] أن الدليل على قراءة الخفض هذه قوله تعالى: (ثم رُدُّوا إلى اللهِ مولاهم الحقِ)[٤] (يونس/٣٠)، وأيّده ابن خالويه الذي قال: "والحجة لمن خفض: أنه جعله وصفاً لله عز وجل، ودليله قوله تعالى: (ثم رُدُّوا إلى اللهِ مولاهم الحقِ) (الأنعام/٦٢) وقرأ عبد الله: "هنالك الولايةُ لله هو الحقُّ"[٥]. وتبعهما البغوي[٦] (ت٥١٦هـ).

مهما يكن من أمر فالقراءات الثلاث صحيحة من الوجهة الإعرابية والمعنى، وبأي واحدةٍ قرأ القارئ أجدهُ مصيباً. والله اعلم.

المبحث الخامس

ما قرئ بالتنوين:

---

[١] ينظر: حجة أبي زرعة: ٤١٩، ومعاني القرآن واعرابه: ٢٨٩/٣، واعراب القرآن، ٢٧٨/٢، وحجة /ابن خالويه ١٩٩، ومعالم التنزيل في التفسير هامش على تفسير الخازن: ١٧٣/٤، وإملاء ما منَّ به الرحمن: ١٠٣/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٦٧/١٠، والبحر المحيط: ١٣١/٦، واتحاف فضلاء البشر: ٢٩٠، والفتوحات الإلهيه: ٢٦/٤، وفتح القدير: ٢٨٨/٣.

[٢] ينظر: حجة أبي زرعة: ٤١٩، واعراب القرآن، النحاس: ٢٧٨/٢، والقرطبي: ٢٦٧/١٠.

[٣] ينظر: حجة ابي زرعة: ٤١٩.

[٤] الآية: ((هُنالِكَ تَبلُوا كلُّ نفسٍ مَّا أسلَفَت ورُدُّوا إلى اللهِ مَولَهُمُ الحقِّ وضَلَّ عَنهُم مَّا كانوا يَفتَرونَ)) يونس/٣٠ ولا وجود لـ((ثم))، أما الآية ٦٢ من سورة الانعام فتوجد بها ((ثم)).

[٥] حجة ابن خالويه:١٩٩.

[٦] ينظر: معالم التنزيل في التفسير هامش على تفسير الخازن: ١٧٣/٤.

في ضمن هذا المنحى وردت عدة قراءات، من أمثلة ذلك ما ورد بشأن قوله تعالى: (فَأعرَضُوا فَأرسَلنَا عَلَيهم سَيلَ العَرِمِ وَبَدَّلنَهُم بِجَنَّتَيهِم جَنَّتَينِ ذَواتي أُكُلٍ خَمطٍ وَأَثلٍ وَشَيءٍ مِن سِدرٍ قَليلٍ) (سبأ/١٦).

أورد الزمخشري وجهين من القراءة في قوله تعالى: (أُكل خمط) هما:

١-التنوين.

٢-ترك التنوين والاضافة.

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلتا القراءتين، على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: التنوين، إذ قال:

"ووجه من نوّن[١]: أن أصله ذواتي أكل أكل خمط. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، أو وصف الأكل بالخمط كأنه قيل: ذواتي أكل بشع"[٢]

ذهب النحاة والمفسرون مذاهب شتى في توجيههم قراءة التنوين في قوله تعالى: (أكل خمط):

<u>فأصحاب المذهب الأول:</u> جعلوا الأكل هو الخمط، فالتنوين فيه على أنه بدل من الأكل. وهو ما ذهب إليه المبرد[٣] (ت ٢٨٥هـ) . تبعه كل من أبي زرعة[٤]، والنحاس[٥]، وأبي البقاء العكبري[٦]، والقرطبي[٧]،

والسمين الحلبي[٨]، صديق خان[١]إلا أنّ أبا علي الفارسي[٢] ردّ كونه بدلاً؛ لأن الخمط ليس بالأكل نفسه. ويرى أبو حيان[٣] أن البدل جائز على ما قاله الزمخشري؛

---

[١] قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي كلهم ضم كاف"أكل" ونافع وابن كثير أسكناها: ينظر: حجة أبي زرعة: ٥٨٧، والكشف: ٢٠٥/٢، والتبصرة: ٣٠٠، واتحاف فضلاء البشر: ٣٥٩.

[٢] الكشاف: ٥٨٦/٣.

[٣] ينظر: حجة أبي زرعة: ٥٨٧، واعراب القرآن، ٦٦٤/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٣/١٤.

[٤] ينظر: حجة أبي زرعه: ٥٨٧.

[٥] ينظر: اعراب القرآن، ٦٦٤/٢.

[٦] ينظر: املاء ما من به الرحمن: ١٩٦/٢.

[٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٣/١٤.

[٨] ينظر: الدرّ المصون: ٤٤٠/٥.

الزمخشري؛ لأن البدل حقيقة هو ذلك المحذوف فلما حذف أعرب ما قام مقامه باعرابه.

امّا أصحاب المذهب الثاني:وعلى رأسهم المبرد أيضاً، فقد جوّز أن يكون على النعت، إذ قال: "التنوين في "أُكل" أحسن من الاضافة، ...ويجوز أن يكون على النعت؛ لأنه وإن كان فكأنه شيء مكروه الطعم، فجرى مجرى النعت؛ لأن بعض العرب يُسَمِّي ما كان مكروه الطعم من حموضة أو مرارة (خمطاً) "[٤].

وقد أيده في ذلك كل من النسفي[٥]، والسمين الحلبي[٦].

وردّ مكي بن أبي طالب القيسي هذا المذهب بقوله: "الأكل الجني، وهو الثمر...لم يحسن أن يكون نعتاً؛ لأن الخمط اسم شجر، فهو لا ينعت به"[٧].

أصحاب المذهب الثالث: يتمثل في قول بعض النحاة إن أصله "ذواتي أكل أكل" فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، وإليه ذهب أبو البقاء العكبري[٨]، والنسفي[٩]. وهو ما سبقهما إليه الزمخشري.

أصحاب المذهب الرابع:صاحب هذا الوجه هو أبو علي الفارسي[١٠]، الذي جعل (خمطٍ) عطف بيان، وهو عنده حسن فبيّن أن الأكل وهو الثمر من هذا الشجر، وهو الخمط.

وممن ارتضى هذا الوجه ولم يعدل إلى غيره مكي بن أبي طالب، بقوله: "فلمّا عدل به عن الاضافة لم يكن فيه غير عطف البيان؛ لأنه بيان ما قبله"[١١].

---

[١] ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٨١/١١.

[٢] ينظر: البحر المحيط: ٢٧١/٧، والدر المصون: ٤٤٠/٥.

[٣] ينظر: البحر المحيط: ٢٧١/٧

[٤] حجة أبي زرعه: ٥٨٧.

[٥] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٩٤/٣.

[٦] ينظر: الدرّ المصون: ٤٤٠/٥.

[٧] الكشف: ٢٠٥/٢.

[٨] ينظر: املاء ما من به الرحمن: ١٩٧/٢.

[٩] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٩٤/٣

[١٠] ينظر: الكشف: ٢٠٥/٢، والدرّ المصون: ٤٤٠/٥.

[١١] الكشف: ٢٠٥/٢.

وقال أبو حيان: "وهذا لا يجوز على مذهب البصريين، إذ شرط عطف البيان أن يكون معرفة وما قبله معرفة، ولا يجيز ذلك في النكرة من النكرة إلا الكوفيون"[١].

وقد اختار الطبري قراءة التنوين؛ لاستفاضة القراءة بذلك في قراءة الامصار من غير تخطئة لقراءة الإضافة[٢].

الوجه الثاني: ترك التنوين والإضافة، إذ قال:

"ومن أضاف وهو أبو عمرو[٣] وحده، فلان أكل الخمط في معنى في البرير[٤]، كأنه قيل: "ذواتي برير"[٥].

وحجة من قرأ قوله تعالى: (أكل الخمط) بترك التنوين والاضافة:

أن يكون تقديرها ذواتي أكُلِ حمُوضة، أو أكُلِ مرارة، وإلى هذا ذهب المبرد[٦].

وقال النحاس: "فأما الاضافة فباب جوازها أن يكون تقديرها ذواتي أكُلِ حمُوضة، أو أكُلِ مرارة "[٧] واختاره القرطبي[٨].

ويؤيد هذا ما روي عن المبرد والزجاج بأن الخمط كل ما تغير إلى ما لا يشتهى وكل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله، واللبن خمط إذا حمض[٩].

ويرى مكي بن أبي طالب أن حجة من أضاف: " كما تقول: ثمر خَمْط، وثمر نَبْق، أي: ثمر شجرتين، وثمر شجر خَمْط، فهو من باب الاضافة."من خَمْط" كـ"ثوب

---

[١] البحر المحيط: ٢٧١/٧، وينظر: شرح ابن عقيل على ألفية أبن مالك: ٢٢٠،٢٢١/٢. ذكر السمين الحلبي ان عطف البيان لا يجيزه البصريون في النكرات إنما يخُصُّونه بالمعارف ينظر: الدر المصون: ٤٤٠/٥.

[٢] ينظر: جامع البيان ٨٨/٢٢.

[٣] قراءة أبي عمرو، ينظر: حجة أبي زرعة: ٥٨٧، والكشف: ٢٠٥/٢، والتبصرة في القراءات: ٣٠٠، واتحاف فضلاء البشر: ٣٥٩، والبدور الزاهرة: ٢٦٠.

[٤] البرير:الأوّل من ثمر الأراك: ينظر: هامش الكشاف: ٥٨٦/٣.

[٥] الكشاف: ٥٨٦/٣.

[٦] ينظر: حجة أبي زرعه: ٥٨٧.

[٧] اعراب القرآن ٦٦٤/٢.

[٨] ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١٨٤/١٤.

[٩] ينظر: اعراب القرآن، ٦٦٤/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/١٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٨١/١١.

خزّ"، أي: من خزّ، فكذلك هذا معناه: أكل من خَمْط "[1]. وحكى أبو حيان: "أكل خَمْط بالاضافة، أي: ثمر خَمْط"[2].

وأيدهما في ذلك السمين الحلبي[3].

واختار النسفي ما ذهب إليه الزمخشري، إذ قال: "ووجّه أبو عمرو أنّ أكل الخمط في معنى البرير–وهو ثمر الأراك إذا كان غضّاً– فكانّه قيل ذواتي برير"[4].

وقد اختار الاخفش القراءة بالاضافة مستنداً إلى انها أحسن في كلام العرب مثل ثوب خزّ ودار آجر[5].

والذي تبين–والله اعلم– أن القراءتين صحيحتان وصائبتان، ولا يمكن ردّ أي واحدة منهما، بالرغم من أني أميلُ إلى قراءة التنوين؛ وذلك لاستفاضة القراءة بذلك في قرّاء الأمصار، من غير ان يقدح هذا في قراءة الاضافة وترك التنوين.

ورحم الله الطبري حين تناول قراءتي التنوين والاضافة موضحاً المعنى في كلتا القراءتين بقوله: "قرأته عامة الأمصار بتنوين أُكُلٍ غير أبي عمرو، فإنه يضيفها إلى الخمط، بمعنى: ذواتي ثمرِ خَمْطٍ. واما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخمط، وينوّنون الأكل، فإنهم جعلوا الخمط هو الأكُل، فردّوه عليه في اعرابه"[6].

٢-قوله تعالى: **(وإذ قُلتُم يمُوسى لن نَّصبِرَ على طَعَام واحدٍ فادعُ لنا ربَّكَ يُخرجْ لنا ممَّا تُنبتُ الأرضُ مِن بَقلِهَا وقِثّائهَا وفُومِهَا وعَدسَها وبَصَلها قال أتستبدلُونَ الَّذي هُو أدنى بالَّذي هُوَ خَيرٌ اهبِطُوا مِصراً فإنَّ لَكُم مَّا سَألتُم...)** (البقرة/٦١).

---

[1] الكشف: ٢٠٥/٢.

[2] البحر المحيط: ٢٧١/٧.

[3] ينظر: الدرّ المصون: ٤٤٠/٥.

[4] مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٩٤/٣.

[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٤/١٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٨١/١١.

[6] جامع البيان: ٨٢/٢٢.

ورد وجهان من القراءة في قوله تعالى: (اهبطوا مِصراً) ذكرهما الزمخشري، هما:

١-التنوين

٢-ترك التنوين

وقد ذكر التوجيه النحوي لكلا الوجهين، وذلك وفقاً للآتي:

الوجه الأوّل: التنوين ذكره بقوله:

"إنما صرفه[١] مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث؛ لسكون وسطه، كقوله: "ونوحاً ولوطاً". وفيهما العجمة والتعريف، وإن أُريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد، وأن يريد مصراً من الأمصار"[٢].

القراءة في قوله تعالى: (اهبطوا مِصْراً) بالتنوين، جاءت لعدة أوجه:

الوجه الأوّل: قال به الطبري: يعني صرفوه ولم يعاملوه معاملة الممنوع من الصرف، فإنهم عنوا به مصراً من الأمصار لا مصراً بعينه، فتأويله على قراءتهم: اهبطوا مصراً من الأمصار؛ لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي إنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم إذا هبطتموه ما سألتم من العيش[٣].

وقال أبو البركات الانباري(٥٧٧هـ): "إنما صرفه؛ لأنه أراد به مصراً من الأمصار لا مصر بعينها"[٤].

وروى القرطبي عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد أنهم قالوا: "من صرفها أراد مِصْراً من الأمصار غير معين[٥].

وأردف القرطبي قائلاً: "استدل هؤلاء بما اقتضاه ظاهر القرآن من أمرهم بدخول القرية. وبما تظاهرت به الرواية، أنهم سكنوا الشام بعد التيه"[٦].

---

[١] قراءة ابن عاصم وابن كثير وأبي عمرو وحمزة ونافع والكسائي، ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١، والبحر المحيط: ٢٣٤/١، والدّر المصون: ٢٤١/١.

[٢] الكشاف: ١٧٤/١.

[٣] ينظر: جامع البيان: ١٣٢/٢.

[٤] البيان في غريب القرآن: ٨٧/١.

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١.

[٦] المصدر نفسه: ٢٩١/١.

وإلى هذا ذهب كثير من النحاة أذكر منهم الحسن بن محمَّد القميّ النيسابوري(٧٢٨هـ)[١]، وابا حيان[٢] في "النهر الماد"، والسمين الحلبيّ[٣]، والبناء الدمياطيّ[٤]، والجمل[٥].

الوجه الثاني: يرى أصحاب هذا الوجه أنّ "مِصْراً" نكرة، وهي قراءة الجمهور، وأنها خط المصحف.

وبهذا الوجه قال النحاس[٦]، فقد ذكر ان "مِصْراً" نكرة، وهذا أجود الوجوه؛ لأنها في السواء بالألف.

وقال أبو البقاء العكبري: "مِصْراً" نكرة، فلذلك انصرف والمعنى: اهبطوا بلداً من البلدان"[٧].

وإلى هذا الوجه ذهب القرطبي[٨].

الوجه الثالث: يتمثل هذا الوجه في أنّ "مِصْراً" مذكَّر سمي بمؤنث؛ لأنه بلد. فقد حكى المبرد[٩] أن يونس بن حبيب كان يصرفه، فهو عنده من المذكَّر الذي سُمِّيَ بمؤنث؛ لأنه بلد فقد أخرجه من ثقلٍ إلى أثقل فحقه الصرف.

وجوَّز النحاس صرفه إذا جعلته اسماً للبلد[١٠]. ولكنه اردف قائلاً: "لا يكاد يقال: لمصر بلادٌ ولا بلدٌ، وانما يقال لها: بلدة، وانما يستعمل بلاد في مثل بلاد الرُّوم"[١١].

وقال أبو البركات الانباري: "صَرَفه؛ لأنه اسم البلد وهو مذكَّر"[١٢].

---

[١] ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣٣٠/١.

[٢] ينظر: النهر الماد: ٢٧٤/١.

[٣] ينظر: الدّر المصون: ٢٤١/١.

[٤] ينظر :اتحاف فضلاء البشر: ١٨٣.

[٥] ينظر: الفتوحات الإلهية: ٦٠/١.

[٦] ينظر: إعراب القرآن، ١٨٢/١.

[٧] إملاء ما من به الرحمن: ٣٩/١.

[٨] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١.

[٩] ينظر: المقتضب : ٣٥١/٣.

[١٠] ينظر: إعراب القرآن، النحاس: ١٨٢/١.

[١١] المصدر نفسه: ١٨٢/١.

[١٢] البيان في غريب القرآن: ٨٧/١.

وعند الخليل(ت ١٧٠هـ) وسيبويه والاخفش والمازني(ت ٢٤٩هـ) لا يصرف[١].
عند الزجاج أيضاً يمنع صرف المذكَّر إذا سُمِّيَ به مؤنث[٢].

الوجه الرابع: ذهب إليه جمع غفير من النحاة والمفسرين، فمصر وإن كانت مؤنثة معرفة فهي مصروفة؛ لأنها على ثلاثة أحرف أوسطها ساكن، فصار خفة الوزن بمنزلة أحد السببين، فجاز أن تصرف كـ"هِنْد" و"دَعْد" و"جُمْل"، وإليه ذهب كل من الكسائي[٣]، وابي البركات الانباري[٤]، وأبي البقاء العكبري[٥]، والسمين الحلبيّ[٦]، والجمل[٧]، وصدِّيق خان[٨].

وعند ابن يعيش(ت ٦٤٣هـ) أنّ ساكن الوسط من الثلاثي المؤنث إذا كان معرفة فالوجه منعه الصرف؛ لاجتماع السببين فيه، يصرفه بعضهم لخفَّته بسكون وسطه، فكأن الخفّة قاومت أحد السببين، فبقيَ سبب واحد فانصرف عندهم وفيه ردٌّ إلى الأصل[٩].

الوجه الخامس: حامل لواء هذا الوجه الكسائي، فقد ذهب إلى أن "مِصْر" يجوز ان تصرف وهي معرفة؛ لأن العرب تصرف كل ما لا ينصرف في الكلام إلا أفعل منك[١٠].

الوجه السادس: صرف "مِصْر" جاء؛ لأنهم أُمِرُوا بهبوط مِصْر بعينه، وهي مِصْر موسى وفِرعون، حكاه كل من النسفي[١١] والجمل[١].

---

[١] ينظر: المقتضب: ٣٥٢/٣.

[٢] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ١١٦/٢.

[٣] ينظر: اعراب القرآن، ١٨٢/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٩١/١.

[٤] ينظر: البيان في غريب القرآن: ٨٧/١.

[٥] ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ٣٩/١.

[٦] ينظر: الدّر المصون: ٢٤١/١.

[٧] ينظر: الفتوحات الإلهية: ٦٠/١.

[٨] ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٨٢/١.

[٩] ينظر: شرح المفصل: ٧٠/١.

[١٠] ينظر: اعراب القرآن ١٨٢/١.

[١١] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٦/١.

وقال البناء الدمياطي: "وقيل أراد بقوله "مِصْراً" وإن كان غير معين مِصْر فِرعون من اطلاق النكرة مراداً بها المعين"[٢].

واستدل أصحاب هذا الوجه بما في القرآن الكريم من أن الله أوْرث بني اسرائيل ديار آل فِرعون وآثارهم. وأجازوا صرفها[٣]. وقيل: إن الأمر للتعجيز والإهانة؛ لأنهم كانوا في التيه لا يمكنهم هبوط مِصْر؛ لانسداد الطرق عليهم إذ لو عرفوا طريق مِصْر لما أقاموا أربعين سنة متحيرين لا يهتدون إلى طريقٍ من الطرقِ، فهو مثل قوله تعالى: (كُونُوا حِجارة أو حديداً) (الإسراء/٥٠)[٤].

الوجه الثاني: ترك التنوين ، ذكره بقوله:

"وفي مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش: "اهبطوا مِصْرَ"[٥] –بغير تنوين– كقوله تعالى: (ادخلوا مِصْرَ)[٦]. وقيل: هو مصرائيم فعرّب"[٧].

وحجة من قرأ قوله تعالى: (اهبطوا مِصْرَ) بغير تنوين:

أنها مِصْر التي تعرف، وإن كتبت بالألف، واسماء البلدان لا تنصرف خفّت أم ثقلت، وعلة ذلك أنهم لا يرددون اسم البلدة على غيرها فلم يكثر في الكلام، أيْ: انه لا توجد في الغالب بلدتان متشابهتان في اسميهما؛ لذا خرَّج الفراء هذه الألف على أنها ألف يوقف عليها، فإذا وصلت لم تنوّن، وهذا الوجه أحبُّ إليه، وهو ترك التنوين؛ لأنها في قراءة عبد الله: (اهبطوا مِصْرَ) بغير ألف: وفي قراءة أُبي: (اهبطوا فإنَّ لكم ما سألتم واسكنوا مِصْرَ)، وهي في سورة يوسف بغير ألف : (أدخُلُوا مِصْرَ إنْ شاءَ اللهُ ءامِنِينَ) (يوسف/٩٩)[٨].

---

[١] ينظر: الفتوحات الإلهية: ٦٠/١.

[٢] اتحاف فضلاء البشر: ١٣٨.

[٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩١/١.

[٤] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩١/١، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ١٨٣/١.

[٥] قراءة الحسن والأعمش وابن مسعود وأُبيّ وابن عباس، ينظر: مختصر في شواذ القراءات: ٦، والبحر المحيط: ٢٣٤/١، واتحاف فضلاء البشر: ١٣٨، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: ٢٩.

[٦] سورة يوسف: آية/٩٩.

[٧] الكشاف: ١٧٤/١.

[٨] ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٤٢،٤٣/١، ونحو القراء الكوفيين: ٢٤٣.

وقد تعرض سيبويه لهذه القراءة، وقال عنها: إنها ليست مصروفة، أراد بها مِصْرَ بعينها[١].

وقال الطبري: "واما الذي لم ينوّن: "مِصْرَ" فإنه لاشك أنه عنى: "مِصْرَ" التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها"[٢].

ومن الذين ذهبوا إلى ترك التنوين في "مِصْرَ"، وعنده انها مِصْر التي تعرف، وهي دار فِرعون، القرطبي[٣]، وأبو حيان[٤]، وعبد الفتاح القاضي[٥].

وذهب السمين الحلبيّ إلى أن صرف "مِصْرَ" بسبب كونه علماً لمكانٍ بعينه لا ينبغي البته؛ لانضمام العجمة إليه. مستنداً إلى ما قاله الزمخشري: إن مِصْر معرّب من مصرائيم[٦].

وجوّز كل من أبي البركات الانباري[٧]، وأبي البقاء العكبري[٨] عدم صرف " مِصْر" للتعريف والتأنيث، مثل: هِنْد ودَعْد.

والذي يتبين–والله اعلم– أنّ كلتا القراءتين صحيحتان ولا يمكن ردّ أيٍّ منهما لما تقدم؛ والإمام الطبري قال بعدم الترجيح بين ما قيل من أقوال بصدد القراءتين، وأكّد انه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذه التأويلات ولا خبر عن الرسول(صلى الله عليه وآله) يقطع بذلك، وأهل التأويل متنازعون في تأويله[٩]

---

[١] ينظر: الكتاب: ٣٤٢/٣.

[٢] جامع البيان:١٣٣/٢.

[٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩١/١.

[٤] ينظر: البحر المحيط: ٢٣٥/١، والنهر الماد هامش على البحر المحيط ٢٣٥/١.

[٥] ينظر: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: ٢٩.

[٦] ينظر: الدّر المصون: ٢٤١/١.

[٧] ينظر: البيان في غريب القرآن: ٨٧/١.

[٨] ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ٣٩/١.

[٩] ينظر: جامع البيان ١٣٥/٢.

المبحث السادس

ما قرئ بترك التنوين:

وفي ضمن هذا المنحنى وردت عدّة قراءات من أمثلة ذلك ما ورد بشأن قوله تعالى:**(وقالتِ اليهودُ عزيرٌ ابنُ اللهِ وقالتِ النَّصَرى المسيحُ ابنُ الله)** (التوبه/٣٠)

أورد صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى(عُزَير ابن الله) هما:

١-ترك التنوين

٢-التنوين

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلتا القراءتين،على النحو الآتي:

الوجه الأول : ترك التنوين،إذ قال:

" (عُزير ابنُ اللهِ) مبتدأ وخبر ،كقوله:المسيح ابن الله، وعزير :اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل،ولعجمته وتعريفه :أمتنع صرفه[١]."[٢]

فحجة من قرأ بترك التنوين انه:

-جعل (عُزير) مبتدأ و(ابن) خبره، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين تخفيفاً، والاصل "عُزير ابنُ الله"[٣].

-حذف التنوين من (عُزير) وذلك لأنه وصف بـ(ابن) وحذف الخبر. والتقدير: "عُزيرٌ ابنُ الله" إلهنا أو معبودنا أو نبينا[٤] وهو اختيار ابن يعيش إذ قال: "حذف التنوين من (عُزير)؛ لأن (ابناً) وصف له، فكأنهم قالوا: هو: (عُزير ابن الله)[٥].

-ما ذهب إليه بعض النحاة من أن حذف التنوين من (عُزير) يعود الى كونه اسماً اعجمياً فمنع من الصرف، وهذا ما ذهب إليه ابن خالويه إذ قال: "الحجة لمن ترك التنوين أنه جعله اسماً اعجمياً، وإن كان لفظه مصغراً، لأن من العرب من يدع صرف الثلاثي من الأعجميه مثل: نوح، وعاد، ولوط"[٦].

وقريبٌ من الوجه ما اختاره ابن قتيبة[٧](ت ٢٧٦هـ) وأبو حيان[٨] وهو ترك التنوين؛ لأنه اسم أعجمي جاء على هيئة المصغر وعلى أربعة أحرف.

---

[١] قراءة القراء عدا عاصم والكسائي، ينظر: السبعة في القراءات: ٣١٣، الحجة أبي زرعة: ٣١٧، والتبصرة في القراءات: ٢١٤، وزاد الميسر: ٤٢٣/٣، والنشر في القراءات العشر: ٢٧٩/٢.

[٢] الكشاف: ٢٥٠/٢.

[٣] ينظر: معاني القرآن: ٤٣١/١، واعراب القرآن ٢١٠/٢، ومشكل اعراب القرآن: ٣٢٧/١.

[٤] ينظر: اعراب القرآن ٢١٠/٢، ومشكل اعراب القرآن: ٣٢٦/١-٣٢٧.

[٥] شرح المفصل: ٣٥/٩.

[٦] الحجة/ابن خالويه: ١٧٤.

[٧] ينظر: الكشف: ٥٠١/١.

[٨] ينظر: البحر المحيط: ٣١/٥.

وعند مكي بن أبي طالب[١] حذف التنوين؛ لالتقاء الساكنين لشبهه بحرف اللين. والاختيار عنده حذف التنوين[٢].

الوجه الثاني: التنوين، فقد ذكره الزمخشري بقوله:

"ومن نوّن فقد جعله عربياً[٣]. وأمّا قول من قال: سقوط التنوين؛ لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ "أحد الله" أو لأن الابن وقع وصفاً والخبر محذوف وهو معبودنا، فتمحل عنه مندوحه"[٤].

وأمّا حجة من نوّن (عُزير) فقد جعله مبتدأ، و(ابن) خبره وألحق به التنوين؛ لأنّ (عُزير) ينصرف[٥]. وهو في الأصل منون، ولكن التنوين حذف لالتقاء الساكنين، والذي يقوي ذلك قوله تعالى: (ولا الليلُ سَابقُ النّهار) (يس/٤٠) بحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

وقوله تعالى: (قُل هُوَ اللهُ أحدٌ* اللهُ الصَّمدُ) (الإخلاص/١-٢) بقراءة حذف التنوين[٦] يقول الفرّاء: "وقد سمعت كثيراً من القرّاء الفصحاء يقرؤون (قل هوَ اللهُ أحدٌ* اللهُ الصَّمدُ) فيحذفون النون من أحد"[٧].

واختيار الفرّاء لقراءة التنوين لا يخفى إذ قال: "قرأها الثقات بالتنوين، والوجه أن ينون؛ لأن الكلام ناقص و(ابن) في موضع خبر (عزير) فوجه العمل في ذلك أن تنون ما رأيت الكلام محتاجاً إلى (ابن) "[١].

---

[١] ينظر: الكشف: ٥٠١/١.

[٢] المصدر نفسه: ٥٠١/١.

[٣] قراءة عاصم والكسائي: ينظر: السبعة في القراءات: ٣١٣، حجة أبي زرعة: ٣١٧، والكشف: ٥٠١/١، والاقناع: ٦٥٧/٢، وزاد الميسر: ٤٢٣/٣

[٤] الكشاف: ٢٥٠/٢.

[٥] ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٣١/١، ومعاني القرآن واعرابه: ٤٤٢/٢، ومشكل اعراب القرآن: ٣٢٧/١.

[٦] ينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٣١/١، والانصاف: ٦٥٩/٢.

[٧] معاني القرآن، للفراء: ٤٣١/١.

واستردأ الأخفش ترك التنوين: ؛"لأنه إنما يترك التنوين إذا الاسم يستغنى عن (ابن) وكان ينسب إلى (اسم) معروف، فالاسم هاهنا لا يستغنى، ولو قلت: (وقالت اليهود عزير) لم يتم كلاماً، إلا أنه قرئ ... وبه نقرأ على الحكاية، كأنهم أرادوا: وقالت اليهود نبينا عزير ابن الله"[٢]

وأمّا منع (عزير) من الصرف للعجمة فقد رده بعض النحاة ومنهم النحاس، إذ قال: "هذا القول غلط؛ لأن (عُزير) اسم عربي مشتق من قوله تعالى: (وتُعزِّرُوهُ وتُوقِّرُوه) (الفتح/٩)[٣].

والذي يبدو لي أنّ القراءتين صحيحتان، وإن كانت قراءة التنوين الأفصح والأكثر بياناً؛ لأن التنوين علامة انفصال[٤] إذ فُصِلَ (عُزير) عن كونه ابن الله ولم يضفه فيجعله كالكلمة الواحدة مع "ابن الله".- وهو المراد-والله اعلم.

٢-قوله تعالى:(**إِنَّا أَعتَدنا لِلكَافِرِينَ سَلَاسِلاْ وأغلالاً وَسَعِيراً**) (الانسان/٤)

ورد وجهان من القراءة في قوله تعالى: (سَلاسِلاَ) ذكرهما الزمخشري هما:

١-المنع من الصرف وترك التنوين

٢-الصرف والتنوين

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلا الوجهين على النحو الآتي:-

الوجه الأول: المنع من الصرف وترك التنوين، إذ قال:

"قرئ: (سلاسل)[١] غير منوّن "[٢].

---

[١] المصدر نفسه: ٤٣١/١.

[٢] معاني القرآن، للأخفش: ٣٢٩/٢.

[٣] اعراب القرآن ٢١٠/٢.

[٤] ينظر: قراءة حمزة بن حبيب دراسة (نحوية وصرفيه): ١٠٠.

القراءة في قوله تعالى: (سلاسل) بغير تنوين جاءت لعلتين:

الأولى: أنه أتى به على الأصول المستعملة في جمع التكسير المشهورة في الاستعمال؛ لأن هذا الجمع بنهاية الجمع المكسر، ولا تجده مجموعاً على التكسير البته، فلما لم يحسن تكسيره شابه الحروف التي لا يجوز جمعها فثقل ذلك[٣].

الثاني: إنه جمع، وهو على وزن فعالل أو فَعَالِن الذي لا ينصرف إلا في ضرورة شاعر وليس في القرآن ضرورة، فهو صيغة منتهى الجموع[٤].

والذين قرؤوا بغير تنوين نجدهم في الوقف على قوله تعالى: (سلاسلا) على ثلاث فرقٍ فوقف أبو عمرو وروح[٥]بالألف وحمزة وقنبل[٦] ورويس[٧] وخلف من غير ألف مع إسكان اللام.

ولحفص[٨] والبزى[٩] وابن ذكوان[١٠] وجهان: الأوّل كأبي عمرو وروح، والثاني كحمزة ومن معه[١١].

---

[١] قراءة ابن كثير وحمزة وابي عمرو وحفص عن عاصم وابن عامر وخلف، ينظر: السبعة في القراءات: ٦٦٣، والتبصرة في القراءات: ٣٦٦، والتيسير في القراءات السبع: ٢١٧، واتحاف فضلاء البشر: ٤٢٩.

[٢] الكشاف: ٦٦٨/٤.

[٣] ينظر: الكشف: ٣٥٣/٢.

[٤] ينظر: حجة أبي زرعة: ٧٣٧، وحجة ابن خالويه: ٣٣٠.

[٥] هو أبو الحسن روح بن عبد المؤمن البصري النحوي، أحد راويي يعقوب، (ت ٢٣٥هـ)، ينظر: اتحاف فضلاء البشر:٧، والبدور الزاهرة: ٩.

[٦] هو محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن خالد بن سعيد المخزومي بالولاء، ولقب بقنبل لأنه كان من قوم يقال لهم: القنابلة، أحد روايي ابن كثير، (ت ٢٩٣هـ) ينظر: النشر ١٢٠/١.

[٧] هو محمّد بن المتوكل اللؤلؤي البصري وكنيته أبو عبد الله. وهو من أفضل اصحاب يعقوب وهو مقرئ حاذق وإمام في القراءة ماهر مشهور بالضبط والاتقان، (ت ٢٣٨هـ). ينظر: النشر ١٨٦/١.

[٨] هو حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي، كان اعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم، (ت ١٨٠هـ). ينظر: النشر ١٥٦/١، وغاية النهاية ٢٥٤/١.

[٩] هو أحمد بن محمّد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، فارسي الأصل من أهل همذان. ولد بمكة سنة سبعين ومائة، وهو أكبر من روى قراءة ابن كثير، كان اماماً في القراءة، متقناً، كان مؤذن المسجد الحرام، (ت ٢٥٠هـ). ينظر: غاية النهاية ١١٩/١.

[١٠] هو عبد الله بن أحمد بن بشر ويقال: بشير، ابن ذكوان بن عمر القرشي الدمشقي، يكنى أبا عمرو، كان شيخ الإقراء بالشام، وإمام الجامع الأموي(ت ٢٤٢هـ). ينظر: غاية النهاية ٤٠٤/١.

[١١] ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٤٢٩، والبدور الزاهرة: ٣٣٢.

والفرّاء يقول: "العرب تثبت فيما لا يجري الألف في النصب، فإذا وصلوا حذفوا الألف وكل صواب"[١].

الوجه الثاني: الصرف والتنوين، ذكره الزمخشري بقوله:

"وسَلاسِلا، بالتنوين[٢]. وفيه وجهان: أحدهما أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف. والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرِي* بروايه الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف"[٣].

فالحجة لمن قرأ بالتنوين إنه شاكل به ما قبله من رؤوس الآي، وكلمة (سلاسلاً) وإن لم تكن رأس آية إلا أنها نوّنت لتتناسب مع الكلمات المنونة قبلها، نحو قوله تعالى: (إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً) (الانسان/٣)[٤].

ويرى أبو البركات الانباري[٥] أن من نوّن قوله تعالى: (سلاسلاً) كان لمجاورته أغلالاً.

والى هذا ذهب كثير من النحاة أذكر منهم العكبري[٦] وابن الحاجب[٧] وقال ابن مالك[٨]:

ضطرارٍ أو تَناسُبٍ صُرِفْ ذو المَنْعِ والمصروف قد لايَنْصَرِفْ

وتبع ابن مالك الرضيّ في شرح الكافية[٩].

---

[١] معاني القرآن، للفراء: ٢١٤/٣.

[٢] قراءة نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وابي جعفر: ينظر: السبعة في القراءات: ص٦٦٣، والتبصرة في القراءات: ٣٦٦، والنشر في القراءات العشر: ٣٩٤/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٤٢٩، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ٣٣٢.

*:بكسر الراء: تَعَوَّدَ، ينظر:مختار الصحاح مادة (ض ر ا).

[٣] الكشاف: ٦٦٨/٤.

[٤] ينظر: الحجة/ابن خالويه: ٣٥٨.

[٥] ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: ٤٨٠/٢.

[٦] ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ٢٧٥/٢.

[٧] ينظر: شرح الكافية: ٣٨/١.

[٨] ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٣٣٨/٢.

[٩] ينظر: شرح الكافية: ٣٨/١.

وابن هشام في أوضح المسالك[١] فقد ذكر الأخير أن هناك أربع حالات يجوز فيها صرف الممنوع من الصرف منها إرادة التناسب كقراءة نافع والكسائي: (سلاسلاً) و (قواريراً) (الانسان: ١٦-١٥).

وقال ابن عقيل: "وورد ايضاً صرفه للتناسب، كقوله تعالى: (سَلاسِلاً وأغْلالاً وسعِيراً) فصرف "سلاسل" لمناسبة ما بعده"[٢].

واذكر من النحاة المتأخرين الذين أيدوا ما ذهب إليه هؤلاء: الجمل[٣] والخضري[٤] والاشموني[٥] ومن المحدثين عباس حسن[٦] الذي يرى أن الممنوع من الصرف يمكن أن يصرف في حالتين:

الأولى: في الضرورة الشعرية، والثانية: مراعاة التناسب ومنها الآية الكريمة.

وهنالك وجه من التأويل يرى أن هناك جموعاً تشبه الآحاد، ويتم جمعها كما الآحاد، ومنها قوله(صلى الله عليه وآله) لحفصة: "أنكنّ لا نتنّ صواحبات يوسف"[٧] فصواحب جمعت بالألف والتاء كما يجمع الواحد، ولهذا فإنه انصرف كما ينصرف الواحد[٨].

وانشد النحاة للفرزدق:

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم خُضُعَ الرّقابِ نَواكسِ الأبصارِ[٩]

فقد حذف التنوين من نواكس للإضافة، والياء لالتقاء الساكنين، وبقيت السين مكسورة، فدلّ على أنه يجمع كسائر الجموع، والجموع كلها منصرفة[١٠]. ولا يخفى ان نواكس على وزن فواعل وهي صيغة منتهى الجموع وحقها المنع من الصرف.

---

[١] ينظر: أوضح المسالك: ٢٢٦.

[٢] ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٣٣٩/٢.

[٣] ينظر: الفتوحات الإلهية: ٤٥٣/٤.

[٤] ينظر: حاشية الخضري: ١٠٩/٢.

[٥] ينظر: شرح الاشموني: ٢٧٥/٣.

[٦] ينظر: النحو الوافي: ٢٧٠/٤-٢٧١

[٧] سنن ابن ماجة: ٣٨٩/١، وسنن النسائي: ٩٩/٢، ومسند الامام أحمد: ٤١٢/٤.

[٨] ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٧٨٣/٢.

[٩] ينظر: ديوان الفرزدق: ٤٠٣/١، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٣٠٤/١٠، وفتح القدير: ٣٤٥/٥.

[١٠] مشكل إعراب القرآن: ٧٨٤/٢.

واستشهد الآلوسي بقول أحدهم:

والصّرفُ في الجمعِ أتى كثيراً حتى ادّعى قومٌ به التخييرا[1]

كل هذا حمل النحاة على إجازة صرفها.

وهنالك فريق من النحاة ذهب إلى أنّ: (سلاسلاً) المنصرفة تعود إلى بعض القبائل، أي: أنها لغة، حكى ذلك الكسائي، وقال: "إنّ بعض العرب يصرفون جميع ما لا ينصرف إلَّا أفعل التفضيل"[2]وتبعه الفرّاء[3].

وايّدهما ابو الحسن الأخفش وهو من نحاة البصرة إذ قال: "سمعنا من العرب من يصرف هذا، ويصرف جميع ما لا ينصرف"[4].

القراءتان تؤديان معنًى واحداً. إلّا أنّ الراجح عندي انها لغة للعرب ومن أجل ذلك صرفت، حكاه الكسائي والفراء وأيّدهما الاخفش، والكسائي من أئمة السماع والمشافهة؛ ثم أنّ قراءة التنوين سبعية[5]وثابته في مصحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة وفي مصحف أُبي وعبد الله [6]. والله اعلم.

---

[1] ينظر: روح المعاني: ١٠/١٩٣.

[2] ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/٣٥٢، ومشكل اعراب القرآن: ٢/ ٧٨٣، وفتح القدير: ٥/٣٤٥، وهامش الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤/٣٩٩.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩/١٢٣.

[4] الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢/٣٥٢، وينظر:التفسير الكبير ٣٠/٢٤٠.

[5] ينظر: ظاهرة التأويل في اعراب القرآن الكريم: ١١٩.

[6] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٩/١٢٤، والبحر المحيط: ٨/٣٩٤.

المبحث الأوّل

بين الرفع والنصب

في ضمن هذا الضرب وردت عدة قراءات، فعلى سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: **(هل ينظُرُونَ إلّا تأوِيلهُ يوم يأتِي تأوِيلُهُ يقُولُ الّذينَ نَسُوهُ مِن قَبلُ قد جاءَت رُسُلُ ربِنّا بالحقّ فهل لنا مِن شفعاءَ فَيَشفَعُوا لنا أو نُرَدُّ فَنَعمَلَ غَيرَ الّذي كنّا نَعمَلُ قد خَسِروا أنفُسَهُم وضَلَّ عَنهُم مَّا كانُوا يَفتَرُونَ)** (الأعراف/٥٣).

وردت قراءتان في قوله تعالى: (أَو نُرَدّ) ذكرهما صاحب الكشاف هما:

١-الرفع عطفاً

٢-النصب عطفاً

وقد ذكر التوجيه النحوي لكلا الوجهين، وذلك على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: الرفع عطفاً ذكره الزمخشري بقوله:

" نردُّ[١] جملة معطوفة على الجملة التي قبلها، داخلة معها في حكم الاستفهام، كأنه قيل: هل لنا مِنْ شفعاء؟ أو نردّ؟ ورافعه وقوعه موقعاً يصلح للاسم، كما تقول ابتداء: هل يضرب زيد؟ ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه. فلا يقدَّر: هل يشفع لنا شافع أو نردّ؟ "[٢].

رُفِع قوله تعالى: (أو نُردُّ) على أنه عطف جملة فعلية على جملة اسمية قبلها، وهي قوله تعالى: (فهل لنا من شفعاءَ فَيشفعُوا)[٣] داخلة معها في حكم الاستفهام[٤] والاستفهام هنا للتمني[٥].

كأنه قيل: فهل لنا مِن شفعاء أو هل نردّ[٦].

---

[١] قراءة الجمهور: ينظر: والدّر المصون: ٢٧٩/٣، اتحاف فضلاء البشر:٢٥٥.

[٢] الكشاف: ١٠٤/٢.

[٣] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٤٢/١، والدّر المصون: ٢٧٩/٣، واتحاف فضلاء البشر: ٢٢٥.

[٤] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٤٢/١.

[٥] ينظر: تفسير المنار: ٣٩١/٨، ومعاني النحو: ٦١٣/٤.

[٦] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٤٢/١.

ويرى الزّجاج[١] أنّ (نُردُّ) عطف على المعنى، أي: هل يشفع لنا أحد أو نردّ. وإلى هذا ذهب أبو البركات الأنباري[٢].

وهناك وجه من التأويل يرى أنّ قوله تعالى: (أو نُردُّ) ليس بمعطوف على فيشفعوا إنما المعنى: أو هل نردُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل. وهو ما ذهب إليه الفرّاء[٣].

ويطالعنا ابن جني بتقدير اختلف فيه عن مَنْ سبقه ومن جاء بعده حيث قال: "وتقديره مع رفع نُردُّ على قراءة الجماعة: إن نرزق شفعاء يشفعوا لنا، وإن نردد نعمل غير الذي كنا نعمل"[٤].

الوجه الثاني: النصب عطفاً، ذكره الزمخشري بقوله:

"قرأ ابن أبي اسحق: (أوْ نُردَّ)[٥] بالنصب عطفاً على (فيشفعوا لنا) أو أن تكون (أَوْ) بمعنى "حتى أنّ" أي: يشفعوا لنا حتى نردّ فنعمل"[٦].

في قراءة النصب لقوله تعالى: (أوْ نُردَّ) توجيهات ثلاثة هي:

التوجيه الأوّل: يرى أصحابه أنّ قراءة النصب في قوله تعالى: (نُردَّ) عطفٌ على قوله: (فيشفعوا) جواب على جواب، وممن أخذ بهذا الرأي ابن جني فقد قال في كتابه المحتسب[٧]: "الذي قبله مما هو متعلق به قوله: (فَهَلْ لنا مِن شفعاءَ فيشفعوا لنا) ثم قال: "أو نردّ فنعمل غير الذي كُنّا نعمل" فعطف (نردّ) على (يشفعوا)، وهو منصوب؛ لأنه جواب الاستفهام).

واختاره العكبري فقال: (ويقرآن بالنصب على جواب الاستفهام)[٨].

---

[١] ينظر: اعراب القرآن ١٣٠/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٠/٧، وفتح القدير: ٢١٠/٢.

[٢] ينظر: البيان في غريب اعراب القرآن: ٣٦٤/١.

[٣] ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٣٨٠/١.

[٤] المحتسب: ٢٥٢/١.

[٥] قراءة ابن ابي اسحق وابو حيوة، ينظر: اعراب القرآن ٦١٦/١، المحتسب: ٢٥٢/١، والكشاف: ١٠٤/٢، واملاء ما منّ به الرحمن: ٣٧٦/١.

[٦] الكشاف: ١٠٤/٢.

[٧] المحتسب: ٢٥٢/١.

[٨] إملاء ما منَّ به الرحمن: ٣٧٦/١.

وهو أقوى الأوجه وأولها عند السمين الحلبيّ الذي يرى بناءً على هذا التوجيه أنّ الشفعاء يكون في أحد شيئين: "إمّا في خلاصهم من العذاب، وإمّا في رجوعهم للدنيا؛ ليعملوا صالحاً، والشفاعة حينئذٍ منسحبة على الخلاص أو الردّ"[١].

التوجيه الثاني: يتمثل هذا الوجه إذا قدرنا "أوْ" بمنزلة "حتى"، قال الفراء: "ولو نصبت (نُردَّ) على أن تجعل "أوْ" بمنزلة "حتى"، كأنه قال: فيشفعوا لنا أبداً حتى نردّ فنعمل"[٢] وهو وجه مجاز عند الفراء بالرغم من أنه لا يعلم قارئاً قرأ به على حدِّ قوله[٣].

وزاد السمين الحلبيّ[٤] أنه يمكن أن تكون "حتى نردّ" أو "كي نردّ"، والشفاعة حينئذٍ متعلقة بالردِّ ليس إلاّ.

التوجيه الثالث: أن يقدر (أوْ) بمعنى "إلاَّ"، وهو ما ذهب إليه النحاس[٥] والمعنى عنده: إلّا ان نُردَّ.

واقتفى القرطبي أثر النحاس بقوله: "والمعنى إلاّ أن نردَّ"[٦]. وأيدهما الشوكاني[٧]

ويلاحظ أنّ ما ذهب إليه أصحاب هذا التوجيه هو مذهب سيبويه[٨] (رحمه الله)، مع الاختلاف في أنّ الأخير لم يتناول الآية القرآنية موضوع البحث انما تناول قضية المعنى فيما انتصب بعد "أوْ" بقوله: "واعلم أنّ ما انتصب بعد أوْ على إلاّ أنْ..."[٩]

وبذلك يكون المعنى عنده: هل يشفع لنا شفعاء إلّا أنْ نردّ، فلا يظهر معنى الآية عليه، وهذا استثناء غير ظاهر، بهذا ردَّ السمين الحلبيّ[١٠].

---

[١] الدرّ المصون: ٢٧٩/٣.

[٢] معاني القرآن، الفرّاء: ٣٨٠/١.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٠/١.

[٤] ينظر: الدرّ المصون: ٣/ ٢٧٩.

[٥] ينظر: اعراب القرآن ١٣٠/٢.

[٦] الجامع لأحكام القرآن: ١٤٠/٧.

[٧] ينظر: فتح القدير: ٢١٠/٢.

[٨] ينظر: الكتاب: ٤٧/٣.

[٩] المصدر نفسه: ٤٧/٣.

[١٠] ينظر: الدرّ المصون: ٣/ ٢٧٩.

والذي يبدو بعد هذا العرض أنّ القراءتين صائبتان، لقوة الحجج التي تسندهما من الناحية النحوية، إلا أنّ قراءة الرفع تترجح على قراءة النصب ذلك لأنها قراءة الجمهور، ولعدم الحاجة إلى التأويل والتقدير. كما هو الحال فيما يتعلق بقراءة النصب. والله أعلم.

٢-قوله تعالى: **(ويُذهِبُ غَيظَ قُلُوبِهِم ويَتُوبُ اللهُ على من يَشاءُ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** (التوبة/١٥).

ورد وجهان من القراءة في قوله تعالى: (ويتوب) ذكرهما الزمخشري، هما:

١-الرفع على الاستئناف

٢-النصب على إضمار "أن"

وقد ذكر التوجيه النحوي لكلا الوجهين، وذلك وفقاً للآتي:

الوجه الأوّل: الرفع على الاستئناف، ذكره بقوله:

"ابتداء كلام[١]، وإخبار بأنّ بعض أهل مكة يتوب عن كفره، وكان ذلك أيضاً، فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم"[٢].

وقد قُرئ قوله تعالى: (ويتوبُ) بالرفع على القطع والاستئناف[٣]، وهو يتضمن الإخبار بما سيكون، وهو أنّ بعض أهل مكة يتوب عن كفره، فقد أسلم ناس منهم... وحسن إسلامهم[٤].

ويرى ابن جني[٥] أنّ الكلام تم عند قوله تعالى: (ويُذْهِبْ غَيظَ قلوبهم) ثم استأنف فقال: (ويتوبُ اللهُ على من يشاء) وهذا ما دفعه إلى اختيار قراءة الرفع.

وذهب الفراء[٦] إلى أن نظير ذلك قوله تعالى: (فإن يَشَإِ اللهُ يختِمْ على قلبك) (الشورى/٢٤)، تم الكلام هنا ثم استأنف فقال: (ويَمْحُ اللهُ الباطِلَ ويُحِقَّ الحَقَّ بكلماته) (الشورى/٢٤).

تبعه كل من الفخر الرازي[٧]، والقرطبي[٨].

---

[١] قراءة عاصم وابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو في رواية وابن عامر، ينظر: البحر المحيط ١٧/٥، الدر المصون ٤٥٢/٣، اتحاف فضلاء البشر: ٢٤٠.

[٢] الكشاف: ٢٣٩/٢.

[٣] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٤٢٦/١، ومعاني القرآن واعرابه: ٤٣٧/٢، والمحتسب: ٢٨٥/١، والتفسير الكبير: ٥/٨، وإملاء ما منّ به الرحمن: ٣/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٥٦/٨، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٣٩/١، والبحر المحيط: ١٧/٥، والدرّ المصون: ٤٥٢/٣، وجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١١٩/٢، وفتح القدير: ٣٤٢/٢.

[٤] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٣٩/١، والدرّ المصون: ٤٥٢/٣، وفتح القدير: ٣٤٢/٤.

[٥] ينظر: المحتسب: ٢٨٥/١.

[٦] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٤٢٦/١.

[٧] ينظر: التفسير الكبير: ٥/٨.

[٨] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٦/٨.

وقوله تعالى: (ويتوبُ) ليس بجواب لقوله تعالى: (قاتلوهم)، فلذلك يرى كل من الفراء والزجاج[١] أنه لا يمكن أن يكون جواباً لقوله: (قاتلوهم)؛ لأن قوله تعالى: (ويتوب الله على من يشاء) لا يمكن جعله جزاء لمقاتلتهم مع الكفار.

هذا ما يؤكدهُ القرطبي بقوله: "ولهذا لم يقل (وَيَتُبْ) بالجزم، لأنّ القتال غير موجب لهم التوبة من الله عز وجل"[٢]. وهو موجب لهم العذاب والخزى وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم[٣].

إذا ذهبت تعلِّق هذه التوبة بقتالهم إياهم كان فيه ضرب من التعسف بالمعنى[٤]. وعند القرطبي التوبة لا يكون سببها القتال مما يجعله يرى الرفع احسن[٥]في قوله تعالى: (ويتوب).

الوجه الثاني:النصب على إضمار"أن"، ذكره الزمخشري بقوله:

"قرئ: (ويتوبَ) بالنصب[٦] بإضمار "أن" ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى"[٧].

قرأ قوله تعالى: (ويتوبَ) بالنصب على إضمار "إن"، بعد واو المعية[٨].

ويرى ابن جني[٩] أنّه إذا نصبت قوله تعالى: (ويتوبَ) فالتوبة داخلة في جواب الشرط[١٠] معنى.

ويعد ابن جني في ذلك سابقاً للزمخشري.

---

[١] ينظر: التفسير الكبير: ٨/٥.

[٢] الجامع لأحكام القرآن: ٨/٥٦.

[٣] ينظر: اعراب القرآن : ٨/٢، والمحتسب: ٢٨٥/١، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: ٥١.

[٤] ينظر: المحتسب: ٢٨٥/١.

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥٦/٨

[٦] قراءة الحسن ويعقوب ويونس عن ابي عمرو، ينظر:مختصر في شواذ القراءات:٥١،والنشر في القراءات العشر:٢٧٨/٢ واتحالف فضلاء البشر:٢٤٠،والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب:٥١.

[٧] الكشاف: ٢٣٩/٢.

[٨] ينظر: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب: ٥١.

[٩] ينظر: المحتسب: ٢٨٥/١.

[١٠] قال صاحب الدرّ المصون: المقصود بالشرط هنا ما فُهِمَ من الجملة الأمرية: ٤٥٢/٣.

وتَبِعَ ابن جني في رأيه أبي حيان[١] والسمين الحلبي[٢] والبناءَ الدمياطي[٣] والشوكاني[٤] وغيرهم كثير.

وذهب السمين الحلبي إلى أنّ في هذا التوجيه غموضاً حيث قال: " وأمّا قراءة زيد ومن ذكر معه، فإنّ التوبة تكون داخلة في جواب الأمر من طريق المعنى، وفي توجيه ذلك غموض: قال بعضهم: إنه لما أمرهم بالمقاتلة شقّ ذلك على بعضهم فإذا أقدموا على المقاتلة، صار ذلك العمل جارياً مجرى التوبة من تلك الكراهة. قلت فيصير المعنى: إن تقاتلوهم يعذبهم ويتبْ عليكم من تلك الكراهة لقتالهم "[٥].

وروى الفخر الرازي: "أنّ منْ الناس من قال يمكن جعل هذه التوبة جزاء لتلك المقاتلة"[٦].

وأظنه يقصد بذلك ابن عطية، فقد جاء في البحر المحيط[٧]: "قيل: ويمكن أن تكون التوبة داخلة في الجزاء"، وأردف أبو حيان بقوله: "قال ابن عطية: ويتوجه ذلك عندي إذا ذهب إلى أنّ التوبة يراد بها أن قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيّها المؤمنون وكمال لأيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال."[٨].

والقراءتان حسنتان وصائبتان، لأنّ لكل واحدة منهما مسوغها النحوي المقبول، وعلى نحو ما تم عرضه آنفاً. والله أعلم.

المبحث الثاني

٢أ/بين الرفع والجزم:

---

[١] ينظر: البحر المحيط: ١٧/٥.

[٢] ينظر: الدرّ المصون: ٤٥٢/٣.

[٣] ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ٢٤٠.

[٤] ينظر: فتح القدير: ٣٤٢/٢.

[٥] الدرّ المصون: ٤٥٢/٣.

[٦] التفسير الكبير: ٥/٨.

[٧] البحر المحيط: ١٧/٥.

[٨] المصدر نفسه: ١٧/٥.

وفي ضمن هذا الضرب وردت عدة قراءات نورد منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: **(للهِ ما في السَّمَواتِ وما في الأرضِ وإن تُبدوا ما في أنفسكم أو تُخفُوهُ يحاسِبْكُم به اللهُ فَيَغفِرُ لمن يشاءُ ويُعَذِّبُ من يشاءُ واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)** (البقرة/٢٨٤).

وردت قراءتان في قوله تعالى: (فيغفر) و(يعذِّب) ذكرهما الزمخشري هما:

١-الجزم عطفاً على جواب الشرط

٢-الرفع على الاستئناف

وكان قد ذكر التوجيه النحوي لكلا الوجهين،وذلك على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: الجزم عطفاً على جواب الشرط، ذكره بقوله:

"وقرئ:(فيغفرْ)، و (يعذّبْ)، مجزومين[١] عطفاً على جواب الشرط ،...،فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء. ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا. وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة... وقرأ الأعمش: "يغفرْ" بغير فاء[٢] مجزوماً على البدل من "يحاسبْكم" ، كقوله:

مَتَى تأتِنا تُلمْ بِنَا في دِيَارِنَا تَجِدْ حَطباً جَزْلاً وَنَاراً تأجَّجَا[٣]

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب؛ لأن التفصيل أوضحُ من المفصّلِ، فهو جارٍ مجرى بدل البعض من كل أو بدل الاشتمال، كقولك: ضربت زيداً رأسه، وأحب زيداً عقله، وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان"[٤].

---

[١] قراءة ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف، ينظر: السبعة في القراءات: ١٩٥، حجة أبي زرعة: ١٥٢، والكشف: ٣٢٣/١، والنشر في القراءات العشر: ٢٣٧/٢، واتحاف فضلاء البشر: ١٦٧، والبدور الزاهرة: ٥٨.

[٢] قراءة الأعمش، ينظر: المحتسب: ١٤٩/١.

[٣] جاء في هامش الكتاب لعُبيد الله الحر أو الحطيئة وليس في ديوانه، للمزيد ينظر: الانصاف: ٥٨٣، الهمع: ١٢٨/٢، الاشموني: ١٣١/٣ الشاهد رقم ٣٠ في شرح قطر الندى لابن هشام: ٩٠.

[٤] الكشاف: ٣٥٨/١.

القراءة في: (فيغفرْ) و(يعذّبْ) بجزم الفعل عطفاً على جواب الشرط[١] أي قوله تعالى: (يحاسِبْكم)[٢] فهو كلام متصل بعضه ببعض[٣] فبمجيء الفعل بعد الجواب جاز فيه ثلاثة أوجه:

فالجزم أحدها. وجاء في شرح التصريح: "إذا انقضت الجملتان جملة الشرط وجملة الجواب ثم جئت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو فلك جزمه بالعطف على لفظ الجواب إن كان مضارعاً مجزوماً ورفعه على الاستئناف ونصبه"[٤].

واختار مكى قراءة الجزم؛ لاتصال الكلام، ولأن عليه أكثر القراء[٥]، كما ، أن الجزم والرفع وجهان فيصحان عند ابن عاشور[٦].

أما القراءة بحذف الفاء من الفعل في قوله تعالى: (فيغفر) وجزمه وهي من القراءات الشاذة، فهي على البدل[٧] من (يحاسبْكم) فهي تفسير المحاسبة[٨]. وذكر النحاس وغيره انها بغير فاء في مصحف ابن مسعود[٩].

ويرى صاحب البحر المحيط في كلام الزمخشري في هذه القراءة الشاذة أنها كقول الشاعر:

متى تأتنا تلممم...

بأنّ البيت قد أبدل فيه من فعل الشرط لا من جوابه، والآية أبدل فيها من الجواب نفسه، ولكن الجامع بينهما كون الثاني بدلاً ممّا قبله وبياناً له[١٠].

---

[١] ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١٢١/١، الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٣/٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٩٢/١، والبحر المحيط: ٣٦٠/٢.

[٢] ينظر: التحرير والتنوير: ١٣١/٣، وفتح القدير: ٣٠٥/١.

[٣] ينظر: الكشف: ٣٢٣/١.

[٤] شرح التصريح على التوضيح: ٢٥١/٢، وينظر: الاشموني: ٢٤،٢٥/٤.

[٥] ينظر: الكشف: ٣٢٣/١.

[٦] ينظر: التحرير والتنوير: ١٣١/٣.

[٧] ينظر:اعراب القرآن ٣٥٠/١، المحتسب: ١٤٩/١، الدرّ المصون: ٦٩١/١.

[٨] ينظر: المحتسب: ١٤٩/١.

[٩] ينظر: اعراب القرآن ٣٥٠/١، الدرّ المصون: ٦٩١/١.

[١٠] ينظر: الكتاب: ٨٦/٣، البحر المحيط: ٣٦١/٢، الدرّ المصون: ٦٩٢/١.

وكذلك بدل البعض من الكل يرى أنه لا يمكن في الفعل؛ لأن الفعل لا يقبل التجزؤ، فلا يقال في الفعل له كل وبعض إلّا بمجازٍ بعيد، فهو ليس كالاسم في ذلك[١].

وثمة توجيه لقوله تعالى: (فيغفر) و (يعذّب) وجّه به جمع من النحاة والمفسرين وهو أن يكون قوله تعالى: (فيغفر) و (يعذّب) منصوباً عطفاً على المعنى بإضمار أن، والتقدير: تكنْ محاسبةٌ فغفرانٌ وعذاب، وممن وجه به العكبري وشهاب الدين أبو العباس السميِّن والشوكاني[٢].

الوجه الثاني: الرفع على الاستئناف، وقد اشار إليه الزمخشري بقوله:

"وقرئ: (فيغفر) و(يعذّب)... ومرفوعين[٣] على فهو يغفر ويعذِّب"[٤].

فالرفع على هذه القراءة رفعاً على الاستئناف وفيه احتمالان:[٥]

الأوّل: أن تجعل الفعل خبر مبتدأ محذوف تقديره، فهو يغفر ويعذّب[٦]، وهي متضمنة لتفصيل ما أجمل في قوله تعالى: (يحاسبْكم به الله)[٧].

الثاني: أنها جملة فعلية من فعل وفاعل عطفت على ما قبلها[٨].

والذي يبدو لي أنّ القراءتين صحيحتان من ناحيتي الاعراب والمعنى إذ إنّ الكلام يخص المحاسبة في قوله تعالى: (يحاسبْكم به الله) وهو جواب الشرط، فالغفران والعذاب محاسبة من اللهِ تعالى: والله أعلم.

---

[١] ينظر: البحر المحيط: ٣٦١/٢.

[٢] ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن: ١٢١/١، الدرّ المصون: ٦٩٠/١، فتح القدير: ٣٠٥/١.

[٣] قراءة ابن عامر وعاصم وابو جعفر ويعقوب: السبعة في القراءات: ١٩٥، حجة أبي زرعة: ١٥٢، الكشف: ٣٢٣/١، النشر في القراءات العشر: ٢٣٧/٢، إتحاف فضلاء البشر: ١٦٧، البدور الزاهرة: ٥٨.

[٤] الكشاف: ٣٥٨/١.

[٥] ينظر: الدرّ المصون: ٦٩٠/١.

[٦] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٣/٣، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٩٢/١، البحر المحيط: ٣٦٠/٢، الدرّ المصون: ٦٩٠/١.

[٧] ينظر: فتح القدير: ٣٠٥/١.

[٨] ينظر: الدرّ المصون: ٦٩٠/١، اتحاف فضلاء البشر: ١٦٧، الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري: ٧٤.

ب/قوله تعالى: **(ألم ترَ إلى الملإ من بنى إسرائيلَ من بعد موسى إذ قالوا لنبىٍّ لَّهم ابعث لنا ملكاً نُقَتِلْ في سبيلِ الله)** (البقرة/٢٤٦).

ورد وجهان من القراءة في قوله تعالى: (نقاتل) ذكرهما الزمخشري هما:

١-الجزم على الجواب

٢-الرفع على الحال أو الاستئناف

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلا الوجهين، وذلك وفقاً للآتي:

الوجه الأوّل: الجزم على الجواب، ذكره بقوله:

" (نُقَاتِل) قرئ[١] بالنون والجزم علىالجواب...وقرئ[٢]: (يُقاتلْ) بالياء والجزم على الجواب"[٣].

القراءة بالنون والياء جزماً، هي الجواب للمسألة التي في لفظ الأمر[٤]، أي: ابعث لنا ملكاً نقاتل، أي: إن تبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله[٥].

ويرى الفرّاء أن القراءة بالنون، أي: (نقاتل) لا يجوز فيها سوى الجزم، حيث قال: " (نقاتل) مجزومة لا يجوز رفعها"[٦].

وقد أختار الزجاج القراءة بالنون والجزم ؛ لأنّ عليها القراء[٧]، أما القراءة بالياء، أي: (يقاتل) فيجوز فيها كلا الوجهين[٨].

الوجه الثاني: الرفع على الحال أو الاستئناف، وقد أشار إليه الزمخشري بقوله:

---

[١] قراءة الجمهور، ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٣٢٦/١، وإملاء ما من به الرحمن: ١٠٣/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٥٩/٣، والدّر المصون: ٥٩٨/١.

[٢] لم أقف على القارئ، ينظر: املاء ما منَّ به الرحمن: ١٠٣/١، والتفسير الكبير: ٢٩٢/٢، والبحر المحيط: ٢٥٥/٢

[٣] الكشاف: ٣١٩/١.

[٤] ينظر: اعراب القرآن: النحاس: ٣٢٦/١، واملاء ما منَّ به الرحمن: ١٠٣/١، والدرّ المصون: ٥٩٨/١.

[٥] ينظر: اعراب القرآن ٣٢٦/١.

[٦] معاني القرآن، للفرّاء: ١٥٧/١.

[٧] معاني القرآن واعرابه: ٣٢٦/١.

[٨] المصدر نفسه: ٣٢٦/١.

" (نُقَاتِلُ) قرئ...وبالنون والرفع[1] على أنه حال، أي ابعثه لنا مقدّرين القتال. أو استئناف كأنه قال لهم: ما تصنعون بالملك؟ فقالوا: نقاتل. وقرئ: (يقاتلُ) بالياء...وبالرفع[2]على أنه صفة لـ "ملكاً"[3].

القراءة بالرفع والنون أي: (نقاتلُ) فيها احتمالان:

الأوّل: إما أن يكون حالاً من قوله تعالى: (لنا) محلّها النصب[4] أي: ابعثه لنا مقدرين القتال[5].

الثاني: وإما أنها استئناف جواب لسؤال مقدّرٍ[6] كأنه قال لهم: ما يصنعون بالملك، فقالوا نقاتل[7].

وبعض النحاة لا يجيز في قوله تعالى: (نقاتل) إلاّ الجزم، كما أن الرفع عند بعضهم بعيد. فالفرّاء يرى أن " (نقاتل) مجزومة لا يجوز رفعها...فإذا رأيت بعد الأمر اسماً نكرة بعده فعل يرجع بذكره أو يصلح في ذلك الفعل إضمار الاسم، جاز فيه الرفع والجزم، تقول في الكلام: علَّمني علماً انتفعُ به، كأنك قلت: علمني الذي انتفع به، وإن جزمت "أنتفع" على أن تجعلها شرطاً للأمر وكأنك لم تذكر العلم جاز ذلك. فإن ألقيت "به" لم يكن إلا جزماً؛ لأنّ الضمير لا يجوز في "انتفع"؛ ألا ترى أنك لا تقول: علَّمني علماً انتفعه. فإن قلت: فهلاَّ رفعت وأنت تريد إضمار "به"؟

قلت: "لا يجوز إضمار حرفين، فلذلك لم يجز في قوله (نقاتل) إلاّ الجزم"[8].

---

(1) لم أقف على القارئ، ينظر: اعراب القرآن: ٣٢٦/١، واملاء ما منَّ به الرحمن: ١٠٣/١، والتفسير الكبير: ٢٩٢/٢، والبحر المحيط: ٢٥٥/٢.

(2) قراءة الضحاك وابن أبي عبلة السلمي، ينظر:/ مختصر في شواذ القراءات: ١٥، واعراب القرآن: ٣٢٦/١، واملاء ما منَّ به الرحمن: ١٠٣/١، والتفسير الكبير: ٢٩٢/٢، والبحر المحيط: ٢٥٥/٢.

(3) الكشاف: ٣١٩/١.

(4) ينظر: الدرّ المصون: ٥٩٨/١، وفتح القدير: ٢٦٤/١.

(5) ينظر: الدرّ المصون: ٥٩٨/١.

(6) ينظر: إملاء ما منَّ به الرحمن:١٠٣/١، والدرّ المصون: ٥٩٨/١، وفتح القدير: ٢٦٤/١.

(7) ينظر: الدرّ المصون: ٥٩٨/١.

(8) معاني القرآن، الفرّاء: ١٥٧/١.

أمّا الزجاج فيرى أنّ الرفع بعيد إلّا بتأويل، حيث قال: "نقاتلْ هو الوجه الذي عليه القرّاء، والرفع فيه بعيد، يجوز على معنى فإنَّا نقاتل في سبيل الله"[1].

القراءة بالرفع والياء، أي: (يقاتلُ) في موضع صفة لملك[2].

ونرى الفرّاء قد ذهب مذهباً آخر في تأويله للقراءة بالرفع والياء، حيث قال: "وأمّا الرفع فإن تجعل (يقاتل) صلة لملك؛ كأنك قلت: ابعث لنا الذي يقاتل"[3]

الذي يبدو لي أنّ القراءتين صحيحتين من ناحيتي الاعراب أمّا من حيث المعنى فالجزم أفضل كما بيّن الزجاج؛ لأن عليها اكثر القرّاء. والله أعلم.

---

[1] معاني القرآن واعرابه:١/٣٢٦.

[2] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ١/٣٢٦، واملاء ما منَّ به الرحمن: ١/١٠٣، و الجامع لأحكام القرآن: ٣/١٥٩، وفتح القدير: ١/٢٦٤.

[3] معاني القرآن، الفرّاء: ١/١٥٧.

المبحث الثالث

بين النصب والجزم:

وردت عند صاحب الكشاف قراءات قليلة جاء فيها الفعل تارة منصوباً وتارة أخرى مجزوماً، منها قوله تعالى: **(وأنفِقُوا مِن مَّا رَزَقنكُم مِن قبلِ أن يأتي أحدَكم المَوتُ فيقُولَ رَبِّ لَولا أخرتَنَي إلى أجَلٍ قريبٍ فَأصَّدقَ وَأكُن مِنَ الصَّالحينَ)** (المنافقون/١٠).

ذكر الزمخشري وجهين من القراءة في قوله تعالى: (وأكن) هما:

١-الجزم عطفاً على "المحل"

٢-النصب عطفاً على "اللفظ"

وقد ذكر التوجيه النحوي لكلا الوجهين، وذلك على النحو الآتي:

الوجه الأول: الجزم عطفاً على "المحل"، إذ قال:

"وقرأ أُبيّ: (فأتصدق) على الأصل. وقرئ: (وأكنْ)[١] عطفاً على محل (فَأَصَّدَّقَ) كأنه قيل: إن أخرتني أصدّق وأكن"[٢].

الحجة في قراءة الجزم على وجهين:

الأوّل: أن الفعل معطوف على محل (فأصَّدَّق)[٣]، وهو عند النحاة عطف على المعنى، ويسمّى في غير القرآن العطف على التوهم[٤] وهو ما حكاه سيبويه عن أستاذه الخليل (ت ١٧٥هـ) (رحمهما الله)، يقول سيبويه: "وسألت الخليل عن قوله عزّ وجلّ: (فأصَّدَّقَ وأكنْ مِن الصَّالحين) فقال: هذا قول زهير[٥]:

بَدا ليَ أنّي لستُ مُدْرِكَ ما مَضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

---

[١] قراءة القراء السبعة عدا أبي عمرو، وينظر: السبعة في القراءات: ٦٣٧، والتبصرة في القراءات:٣٥٢، والتيسير في السبع : ١٧١، واتحاف فضلاء البشر: ٤١٧.

[٢] الكشاف: ٥٤٦/٤.

[٣] ينظر: حجة أبي زرعة: ٧١٠، والحجة للقراء السبعة: ٢٩٤/٦، والبحر المحيط: ٢٧٥/٨.

[٤] ينظر: لمسات بيانية: ١٤٠.

[٥] ديوانه: ١٤٠، وهو من شواهد سيبويه، ينظر الكتاب:١٠٠، وشرح شواهد المغني: ٢٨٢/١.

فإنّ جرّوا هذا؛ لأنّ الأوّل قد يَدخله الباءُ، فجاؤوا بالثاني وكأنهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا لما كان الفعلُ الذي قبله قد يكون مجزوماً ولا فاءَ فيه تكلّموا بالثاني، وكأنهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا"[١].

الثاني: أن الفعل مجزوم عطفاً على موضع الفاء في قوله تعالى: (فأصَّدَّق)؛ لأن موضعه الجزم، ذلك أنّ (أصَّدَّق) منصوب بعد (الفاء) السببية، و(أكن) مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: إن أخرتني أكن من الصالحين[٢].

فجاء بالمعطوف عليه على إرداة معنى السبب، وجاء على معنى الشرط، فجمع بين معنيين، هما: السبب والشرط[٣].

الوجه الثاني: النصب عطفاً على (اللفظ)، ذكره الزمخشري بقوله:

"ومن قرأ: "وأكونَ"[٤] على النصب، فعلى اللفظ. وقرأ عبيد بن عمير*: "وأكونُ"[٥]، على (وأنا أكون) عِدَة منه بالصلاح"[٦].

من قرأ قوله تعالى: (وأكون) بالنصب فإنه عطفه على قوله تعالى: (فأصّدّق) المنصوب بـ(أن) المضمرة بعد جواب التمني، وهو (لولا أخرّتني)، فحمله على لفظ (فأصّدّق وأكون)؛ لأنّ (لولا) معناه: (هلاّ) وجواب الاستفهام بالفاء يكون منصوباً، أي: جواب الاستفهام الذي فيه معنى التمني، فكان الأولى حمله على اللفظ؛ لظهوره وقربه وابتعاده عن التأويل والتوهم[٧]، ولأجل أن يكون الكلام جارياً على نسق واحد[٨]،

---

[١] الكتاب: ٣/١٠٠-١٠١.

[٢] ينظر: لمسات بيانية: ١٤٠.

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ١٤٠

[٤] قراءة أبي عمرو والحسن والاعمش: ينظر: السبعة في القراءات: ٦٣٧، والتبصرة في القراءات: ٣٥٢، واتحاف فضلاء البشر: ٤١٧، والبدور الزاهرة: ٣٢١.

*لم اقف على ترجمته.

[٥] قراءة عبيد بن عمير:ينظر: الكشاف: ٤/٥٤٦، والبحر المحيط: ٨/٢٧٥.

[٦] الكشاف: ٤/٥٤٦.

[٧] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣/١٦٠، ومعاني القرآن، للاخفش: ١/٦٢، وجامع البيان ٢٨/٧٧، ومعاني القرآن واعرابه: ٥/١٧٨، واعراب القرآن: ٣/٤٣٩، والكشف: ٢/٣٢٢، والتبيان في اعراب القرآن: ٢/١٢٢٥.

[٨] ينظر: الحجة في القراءات السبع: ٣٤٧.

ويقوي هذا قراءة أُبي (فأتصدق وأكون)[١].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنّ المعنى على القراءتين يختلف، إذ إن الفاء في (فأصدق) سببية، فيكون المعنى، لولا أخرتني لأصَّدَّق، فلما جزم (أكنْ) كان على غير إرادة الفاء، فهذا الفعل لا يشارك (أصَّدَّق) في السببية، وانما يكون هو على الشرط، فيكون معناه مستقلاً، وهو: إن أخرتني أكنْ من الصالحين.

أمّا في قراءة النصب فالفعل يشارك (أصَّدَّق) في المعنى، حيث إنه معطوف عليه، أي أنّ التقدير يكون على إرادة الفاء السببية، فيكون المعنى: لولا أخرتني لأصدق ولأكون من الصالحين[٢]

ووصف الطبري القراءتين بالصواب[٣].

والذي يبدو لي أن القراءتين صحيحتان وجائزتان في العربية إلا أنّ الذي يترجح- والله اعلم-قراءة النصب؛ وذلك لأنّ الواو ربما حُذِفَت من الكتاب وهي تُراد وكذا الألف والقراءة تكون باثبات تلك الحروف، ومما يعضد هذا تصويب الفراء قراءة النصب إذ قال: "لأن الواو ربما حُذِفَت من الكتاب وهي تُراد؛ لكثرة ما تُنقص وتُزاد في الكلام، ألا ترى أنهم يكتبون (الرحمن،وسليمن) بطرح الألف والقراءة بإثباتها فلهذا جازت وقد اسقطت الواو من قوله تعالى: (سَنَدْعُ الزَّبانِية) (العلق/١٨)، ومن قوله تعالى: (ويدعُ الإنسانُ بالشَّرِ) (الإسراء/١١)، والقراءة على نية إثبات الواو"[٤].

٢-قوله تعالى: **(أَلَم نَشرَح لَكَ صَدرَكَ)** (الشرح/١).

---

[١] ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٢٩٦/٦، والتفسير الكبير: ١٩/٣٠.

[٢] ينظر: معاني النحو: ٢٥٩/٣، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ١١٢/٤، وهمع الهوامع: ١٤٢/٢، والتوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تبيان العكبري (رسالة ماجستير): ٨٠.

[٣] ينظر: جامع البيان ١١١/١٢.

[٤] معاني القرآن، للفراء: ٨٧/١-٨٨.

ذكر صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى: (نشرح) هما:

١-الجزم

٢-النصب

وقد ذكر التوجيه النحوي لكلا الوجهين، وذلك على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: الجزم، إذ قال:

"استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار[١]، فأفاد إثبات الشرح وإيجابه، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك؛ ولذلك عطف عليه: وضعنا: اعتباراً للمعنى. ومعنى شرحنا صدرك: فسحناه حتى وسع هموم النبّوة ودعوة الثقلين جميعاً. أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومكَ وغيرهم: أو فسحناه بما أو دعناه من العلوم والحكم، وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل. وعن الحسن: مُلئ حكمة وعلماً"[٢].

فقوله تعالى: (نشرحْ) يكون مجزوماً بـ"لم"[٣] ودخلت همزة الاستفهام على النفي[٤]، والاستفهام إذا دخل على النفي قرّره[٥]، فأفاد إثبات الشرح[٦]. فصار المعنى هنا: قد شرحنا[٧].

وأصل الشرح كما قال الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ): بسط اللحم ونحوه يقال: شرحت اللحم وسرحته، ومنه شرح الصدر، أيْ: بسطته بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه[٨].

---

[١] قراءة الجمهور: ينظر: البحر المحيط: ٤٨٧/٨، والدّر المصون: ٥٤٠/٦.

[٢] الكشاف: ٧٧٥/٤.

[٣] ينظر: اعراب القرآن: ٧٢٧/٣.

[٤] ينظر: البحر المحيط: ٤٨٧/٨.

[٥] ينظر: الدّر المصون: ٥٤٠/٦.

[٦] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٧٠٤/٣.

[٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧١/٢٠، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٧٠٤/٣، والبحر المحيط: ٤٨٧/٨، والدّر المصون: ٥٤٠/٦.

[٨] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٥٩/٢٠، وينظر مختار الصحاح مادة: (ش ر ح).

والأولى العموم لهذا ولغيره من مقاساة الدعاء إلى الله تعالى وحده، واحتمال المكاره وأذى الكفار[١].

وقال القرطبي: "الدليل على ذلك قوله تعالى في النسْق عليه: (ووضعنا عنك وزرك) (الشرح/٢)[٢].

وهذا ما ذهب إليه كل من الفضل بن الحسن الطبرسي[٣]، والنسفي[٤]أ وأبي حيان[٥]، والسمين الحلبيّ[٦]، وبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي[٧](ت ٨٨٥هـ).

فهذا العطف على التأويل، لا على التنزيل؛ لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونضع عنك وِزرك[٨].

الوجه الثاني: النصب، ذكره الزمخشري، بقوله:

"وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ: (ألم نشرحَ لك)[٩] بفتح الحاء. وقالوا: لعله بيّن الحاء وأشبعها في مخرجها، فظنَّ السامع أنه فتحها"[١٠].

وحجة من قرأ قوله تعالى: (ألم نشرح) بالنصب: أن أصلها: "ألم نشرحَنَّ"، فأبدل من النون ألفاً، ثم حذفها تخفيفاً، وإليه ذهب ابن عطيه[١١].

فتكون كقول الشاعر:

مِنْ أيَّ يَومَيَّ مِنَ المَوْتِ أفِرْ أيومَ لَمْ يُقْدَرَ أمْ يَوْمَ قُدِرْ[١٢]

---

[١] ينظر: البحر المحيط:٨/٤٨٧.

[٢] الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٧١.

[٣] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/٥٠٨.

[٤] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/٧٠٤.

[٥] ينظر: البحر المحيط: ٨/٤٨٧.

[٦] ينظر: الدّر المصون: ٦/٥٤٠.

[٧] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٢/١١٧.

[٨] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٧١، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣/٧٠٤.

[٩] قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع أبي جعفر المنصور، ينظر: المحتسب: ٢/٣٦٦، والبحر المحيط: ٨٨٨،٤٨٧.

[١٠] الكشاف: ٤/٧٧٥.

[١١] ينظر: المحرر الوجيز: ١٥/٤٩٥.

[١٢] البيت للحارث بن منذر، بنظر: المحتسب: ٢/٢٦٦، والمغني: ١/٢٨١، واللسان: (قدر).

أراد: لم يُقْدَرَنْ، بنون التوكيد الخفيفة، ثم حذفها للضرورة[١].

وقد أنشد النحاة بيتاً آخرَ يخرجون به قراءة النصب، وهو قول الشاعر:

أضْرَبَ عنكَ الهُمُومَ طارِقها ضَرْبَكَ بالسَّيْفِ قَوْنَسَ الفَرَسِ[٢]

وحمل أبو الفتح ابن جني هذه النون على أنها للتوكيد، والتوكيد أشبه شيء به الإسهاب والإطناب، لا الإيجاز والاختصار[٣].

وذهب السمين الحلبيّ[٤] إلى أنّ الأصل في هذا ضعيف؛ لأن توكيد المجزوم بـ"لم" ضعيف، وابدال النون ألفاً إنَّما هو في الوقف، فاجراء الوصل مجرى الوقف خلاف الأصل، وحذف الألف ضعيف؛ لأنه خلاف الأصل.

وقال الآلوسي[٥]: إن الحذف في (ألم نشرحنَّ) أضعف مما في البيت-أي: قول الشاعر: أضربَ عنك الهموم...وذكر تمام البيت-؛ لأن الحذف في الآية للنفي وفي البيت للأمر. والأولى التمثيل بالبيت الأوّل-أي: من أيَّ يوميَّ من الموتِ أفِرْ...

وخرّج أبو حيان الآية على لغة بعض العرب، وهي الجزم بـ"لن" والنصب بـ"لم"، عكس المعروف عند الناس، وهذا عنده أحسن مما تقدم[٦].

وانشد قول عائشة بنت الأعجم تمدح المختار بن أبي عبيد*، وهو القائم بطلب ثأر الحسين بن علي (عليهما السلام):

قَدْ كَادَ سمك الهُدى يَنْهَدّ قائمه حتى أتيحَ له المختار فانغمدا

في كُلَّ مَا هَمَّ أمْضى رايه قدما ولم يُشَاوِرَ في إقدامِه أحدا[٧]

---

[١] ينظر: المحتسب: ٣٦٦/٢.

[٢] نسب البيت لطرفة، وهو مصنوع عليه، ينظر: المحتسب: ٣٦٦/٢، والبحر المحيط: ٤٨٧/٨ والطّارق: الذي يأتي ليلاً. وقوْنَسَ الفرسِ: ما بين أذنيه. والشاهد: أنه أراد: اضربنْ، بنون التوكيد الخفيفة. فحذفها للضرورة، وهذا من الشاذ الذي لا يقاس عليه، لأن نون التوكيد الخفيفة لا تُحذف إلا إذا لقيها ساكن، ينظر: هامش المحرر الوجيز: ٤٩٥/١٥.

[٣] ينظر: المحتسب: ٣٦٦/٢.

[٤] ينظر: الدُّر المصون: ٥٤٠/٦.

[٥] ينظر: روح المعاني: ٣٠٢/٢٩.

[٦] ينظر: البحر المحيط: ٤٨٨/٨، والدّر المصون: ٥٤٠/٦، وفتح القدير: ٤٦١/٥.

*لم أقف على ترجمتهما.

[٧] البيت في البحر المحيط: ٤٨٨/٨.

بنصب يشاور جعله محتملاً للتخريجين[١].

وقد ردّ ابن جني قراءة النصب في قوله تعالى: (ألم نشرحَ) مستنداً إلى ما حكاه ابن مجاهد: "هذا غير جائز اصلاً"[٢].

وقد أيده ابن عطية في ما ذهب إليه[٣].

ويرى الشوكاني[٤] أنّ هذه اللغة لبعض العرب، ما أظنّها تصحّ، وإن صحّت فليست من اللغات المعتبرة.

والذي يبدو لي–والله اعلم– من خلال ما تقدم أنّ قراءة الجزم هي الأجود؛ لأن عليها القرّاء ولم تخالف قياساً، ثم إن النصب يرجع هاهنا إلى لغة لم يحكها غير اللحياني رواها عنه صاحب البحر المحيط ، وهي الجزم بـ"لن" والنصب بـ"لم" بعكس ما عليه العرب بأسرها، وإن كانت كما روى بأنها لغة لبعض العرب لما خلا منها كتاب سيبويه.

وبالعودة إلى السيوطي الذي أكّد جواز الاحتجاج بكل ماقرئ بالقرآن الكريم في العربية سواء أكان متواتراً أم احاداً أم شاذاً، وقد أكد إطباق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً[٥].

المبحث الرابع

---

[١] ينظر: البحر المحيط: ٤٨٨/٨، والدُّر المصون: ٥٤١/٦، وفتح القدير: ٤٦١/٥.

[٢] ينظر: المحتسب: ٣٦٦/٢.

[٣] ينظر: المحرر الوجيز: ٤٩٥/١٥.

[٤] ينظر: فتح القدير: ٤٦١/٥.

[٥] ينظر: الاقتراح للسيوطي: ٤٨.

بناء الفعل للفاعل والمفعول:

يتعرض الزمخشري في توجيهه للقراءات إلى صيغتي بناء الفعل للفاعل والمفعول موجهاً كلا الوجهين، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: **(يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ ونَحشُرُ المُجرِمِينَ يومئذٍ زُرقاً)** (طه/١٠٢).

ذكر الزمخشري وجهين من القراءة في قوله تعالى: (يُنفَخُ) هما:

١-بناء الفعل إلى الفاعل

٢-بناء الفعل لما لم يسم فاعله.

ثم وجه كلتا القراءتين التوجيه النحوي الآتي:

الوجه الأوّل: بناء الفعل إلى الفاعل، إذ قال:

" أسند النفخ إلى الآمر به فيمن قرأ: (نَنفُخ)[١] بالنون. أو لأن الملائكة المقرّبين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من ربَّ العزة، فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته تعالى"[٢].

كأن الذي دعا أبا عمرو إلى هذه القراءة طلبه التوفيق لها مع قوله: (ونحشر المجرمين)[٣] فالفعل على هذه القراءة مبني للفاعل لكونه خبراً من الله جلّ وعلا عن نفسه[٤]، والتقدير: "يوم ننفخ نحن في الصُّور"[٥]، أي: بأمرنا واذننا[٦].

والداعي للقراءة على هذا الوجه أمران هما:

---

[١] قراءة ابن عمرو: ينظر: السبعة في القراءات: ٤٢٤، والتبصرة في القراءات: ٢٦١، والعنوان في القراءات السبع: ١٣٠، والمستنير في القراءات العشر: ٤٤١، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٧ظن والبدور الزاهرة: ٢٠٧.

[٢] الكشاف: ٨٧/٣.

[٣] ينظر: جامع البيان: ٢١٠/١٦.

[٤] ينظر: حجة أبي زرعة: ٤٦٣، والكشف: ١٠٦/٢.

[٥] ينظر: جامع البيان: ٢١٠/١٦.

[٦] ينظر: المحرر الوجيز: ٩٠/١٠.

الأوّل: نفخ الصور لا يكون إلاّ عن مراد الله واذنه، وقوله تعالى: (فَنَفَخنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا) (التحريم/١٢) يقوي ذلك[١]، فالنافخ في الصُّور وإن كان إسرافيل (عليه السلام)، إلا أنّ الله (عز وجل) هو الآمر له بذلك والمقدر والخالق له، فنسب الفعل إليه لهذه المعاني، بدليل قوله تعالى: (اللهُ يَتَوفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِهَا) (الزمر/٤٢) والمتوفى لها ملك الموت (عليه السلام)[٢] بأمر الله تعالى.

الثاني: الكلام بعد قوله تعالى: (نفخ) جاء على لفظ الجمع، وهو قوله تعالى: (ونحشر المجرمين) (طه/١٠٢)[٣] وهو معطوف عليه[٤]، فمجئ النون في (نفخ) كان لموافقة لفظ (نحشر)[٥]، وذلك لينسق الكلام على نسق واحد[٦]. إذ إنّ اتفاق الفعلين أولى من اختلافهما[٧].

الوجه الثاني: بناء الفعل لما لم يسم فاعله، ذكر الزمخشري هذا الوجه من القراءة حين قال:

"وقرئ: " يُنفَخ "[٨] بلفظ ما لم يسم فاعله. وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل أو لاسرافيل (عليه السلام). وأما يحشر[٩] المجرمون فلم يقرأ به إلّا الحسن "[١٠].

في قوله تعالى: (يُنفخ) جاء الفعل مضموم الياء مبنياً للمفعول[١١]، على معنى: "يوم

---

[١] ينظر: الكشف: ١٠٦/٢.

[٢] ينظر: الحجة/ ابن خالويه: ٢٢٢.

[٣] ينظر: حجة أبي زرعة: ٤٦٣.

[٤] ينظر: الكشف: ١٠٦/٢.

[٥] ينظر: الحجة/ابن خالويه: ٢٢٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٤٤/١١.

[٦] ينظر: حجة أبي زرعة: ٤٦٣.

[٧] ينظر: الكشف: ١٠٦/٢.

[٨] قراءة ابن عاصم وابن كثير وحمزة والكسائي وابن عامر ونافع، ينظر: السبعة في القراءات: ٤٢٤، وإرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى: ٤٣٨، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٧، والبدور الزاهرة: ٢٠٧.

[٩] قراءة الحسن، ينظر: الكشاف: ٨٧/٣، واتحاف فضلاء البشر: ٣٠٧.

[١٠] الكشاف: ٨٧/٣.

[١١] ينظر: حجة أبي زرعة: ٣٦٤، والحجة/ ابن خالويه: ٢٢٢، والكشف: ١٠٦/٢، والتبيان في اعراب القرآن: ٩٠٤/٢.

يأمر الله اسرافيل فينفخ في الصُّور"[1]، وعلى هذا فالله (سبحانه وتعالى) هو الآمر، والملك وهو اسرافيل هو النافخ وهو عبد من عباد الله مأمور بالنفخ وهو مفعول في المعنى[2]، وقد وردت في القرآن الكريم نظائر لقوله تعالى: (ينفخ) جاءت بلفظ ما لم يسم فاعله وهي قوله تعالى: (ونُفِخَ في الصُّور) (الكهف/٩٩)، وقوله تعالى: (يَومَ يُنفَخُ فِي الصُّور) (النبأ/١٨)[3].

وقد اختار الطبري القراءة ببناء الفعل لما لم يسم فاعله لأنها القراءة التي عليها قرّاء الأمصار[4].

والذي يبدو لي أن كلتا القراءتين قرأ بها الحجة من القراء، وإن انفرد أبو عمرو ابن العلاء فيما قرأ به، إلّا أنه يعد واحداً من هؤلاء وقراءته صحيحة؛ لأنها تصل بسندها إلى النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله)، وأنّ كلتا القراءتين تحتملان الصحة من ناحية المعنى، إذ إنّ الآمر في نفخ الصُّور في كلتا القراءتين هو الله (سبحانه وتعالى).

---

[1] ينظر: جامع البيان: ١٦/٢١٠.

[2] ينظر: حجة أبي زرعة: ٣٦٤.

[3] ينظر: حجة أبي زرعة: ٣٦٤، والكشف: ٢/١٠٦.

[4] ينظر جامع البيان: ١٦/٢١٠.

٢-قوله تعالى: **(فيومئذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابهُ أحدٌ، ولا يُوثِقُ وَثَاقهُ أحدٌ)** (الفجر/٢٥-٢٦).

وردت في قوله تعالى: (يعذّب) و (يوثق) قراءتان ذكرهما الزمخشري هما:

١-(يُعذَّبُ) و (يُوثقُ) والبناء للمفعول

٢-(يُعذِّب) و (يُوثِق) والبناء للفاعل

وقد وجه الزمخشري كلتا القراءتين على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: (يُعذَّبُ) و (يوثَقُ) والبناء للمفعول، ذكره بقوله:

"قرئ: بالفتح (يُعذَّبُ و يُوثَق)[١]، وهي قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله). وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره، والضمير الإنسان الموصوف. وقيل: هو أُبيّ بن خلف أي: لا يُعذَّب أحد مثل عذابه، ولا يوثَق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقهِ؛ لتناهيه في كفره وعناده، أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد، كقوله: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (الاسراء/١٥) "[٢].

على هذه القراءة أضاف الفعلين إلى الكافر المعذّب الموثق، ورفع "أحد" ؛ لأنه مفعول لم يسم فاعله، والهاء في "عذابه" للكافر وكذلك هي في "وثاقه" وهو الإنسان المذكور في قوله تعالى: (يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ) (الفجر/٢٣)[٣]، والتقدير: لا يعذِّب أحدٌ مثل تعذيبه، ولا يوثِق أحدٌ مثل إيثاقه، فأقام "العذاب" مقام التعذيب، و "الوثاق" مقام الإيثاق.[٤]

واختار أبو عبيد وأبو حاتم السجستاني قراءة الفتح[٥]، وتأول أبو عبيد معنى الآية بقوله: لا يعذّبُ عذاب الكافر أحد[٦]، وخالف الفراء هذا التأويل ذاهباً إلى أنّ المعنى لا يعذَّبُ

---

[١] قراءة الكسائي وأبي عمرو ويعقوب، ينظر: السبعة في القراءات: ٦٨٥، والكشف: ٣٧٣/٢، وتقريب النشر: ١٨٨، اتحاف فضلاء البشر: ٤٣٩، والبدور الزاهرة ٣٤٢.

[٢] الكشاف: ٧٥٥/٤.

[٣] ينظر: اعراب ثلاثين سورة: ٨٤، والكشف: ٣٧٣/٢.

[٤] ينظر: اعراب ثلاثين سورة: ٨٤، والكشف: ٣٧٣/٢، والبحر المحيط: ٤٧٢/٨، وفتح القدير: ٤٢٨/٥.

[٥] ينظر: اعراب القرآن: ٧٠١/٣، وفتح القدير: ٤٢٨/٥.

[٦] ينظر: اعراب القرآن: ٧٠١/٣.

أحدٌ في الدنيا مثل عذابِ الله في الآخرة.[١]

وذكرت طائفة من العلماء أنّ المراد هو إنسان بعينه إمّا أُبيّ بن خلف وإمّا أمية بن خلف.[٢]

الوجه الثاني: (يعذِّب) و (يوثِق) والبناء للفاعل، ذكره بقوله:

"وقرئ بالكسر[٣]، والضمير لله تعالى، أي: لا يتولى عذاب الله أحد؛ لأنّ الأمر لله وحده في ذلك اليوم، أو للإنسان، أي: لا يعذِّب أحد من الزَّبانية مثل ما يعذّبونه"[٤].

من قرأ قوله تعالى: (يعذِّب) و (يوثِق) بالكسر فقد أضاف الفعل إلى اللهِ جلّ ذكره، والهاء في "عذابه" و "وثاقه" لله جلّ ذكره[٥]، وتقديره: لا يكل عذابه ولا وثاقه إلى أحدٍ؛ لأنّ الأمر كله له[٦]، و "أحد" فاعل[٧].

وجاء مكي بن أبي طالب بتقدير جعل القراءتين سواء وذلك عند إضافة العذاب إلى الكافر، بقوله: "وقيل: تقديره: فيومئذٍ لا يُعذِّب أحدٌ أحداً مثل تعذيب الكافر، ولا يُوثق أحدٌ أحداً مثل إيثاق الكافر فتكون كالقراءة الأولى على هذا التقدير، لإضافة العذاب إلى الكافر"[٨].

وهذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسيّ فيما نقله عنه الشوكاني بقوله: " يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة، أي: لا يعذب أحدٌ أحداً مثل تعذيب هذا الكافر"[٩].

---

[١] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٢٦٢/٣.

[٢] ينظر: اعراب القرآن: ٣/:٧٠١، والبحر المحيط: ٤٧٢/٨، وتفسير الخازن: ٢٠٥/٦، وروح المعاني: ١٣٠/٢٨.

[٣] قراءة نافع وابن كثير وعاصم وحمزة وابن عامر: ينظر: السبعة في القراءات: ٦٨٥، والكشف: ٣٧٣/٢، والتبصرة في القراءات: ٣٧٩، اتحاف فضلاء البشر: ٤٣٩، والبدور الزاهرة: ٣٤٢.

[٤] الكشاف: ٧٥٥/٤.

[٥] ينظر: الكشف: ٣٧٣/٢.

[٦] ينظر: البحر المحيط: ٤٧١/٨، واتحاف فضلاء البشر: ٤٣٩، وتفسير روح البيان: ٤٣١/١٠، والفتوحات الإلهية للجمل: ٥٣٥/٤، وفتح القدير: ٤٢٨/٥.

[٧] ينظر: الكشف: ٣٧٣/٢.

[٨] ينظر: الكشف: ٣٧٣/٢، وينظر: زاد المسير: ١٢٢/٩.

[٩] فتح القدير: ٤٢٨/٥.

وزاد الآلوسي على ذلك بأنه وجه حسن، بل هو أرجح.[1]

والذي يبدو لي–والله أعلم– أنّ لكلتا القراءتين وجهاً صحيحاً من ناحية الإعراب والمعنى ولا يمكن ردّ قراءة صحيحة السند عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

[1] ينظر: روح المعاني: ١٢٩/٢٨.

المبحث الخامس

إسناد الفعل إلى الضمائر

ومما ورد في ضمن هذا المنحنى:

١-قوله تعالى: (**قُل بِفَضلِ اللهِ وَبَرِحمَتِهِ فَبِذلِكَ فَليَفرَحُوا هوَ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ**) (يونس/٥٨).

وردت قراءتان في قوله تعالى: (فليفرحوا) ذكرهما صاحب الكشاف:

١-(فليفرحوا) إسناد الفعل إلى ضمير الغائبين (هم).

٢-(فلتفرحوا) إسناد الفعل إلى ضمير المخاطبين (أنتم).

وقد وجّه كلا الوجهين بالتوجيه النحوي الآتي:

الوجه الأوّل: (فليفرحوا) إسناد الفعل إلى ضمير الغائبين (هم) وقد جاء بقوله: "أصل الكلام: بفضل الله وبرحمته فليفرحوا[١]، فبذلك فليفرحوا، والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرج دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين؛ لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط؛ كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منهما. ويجوز أن يراد: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا. ويجوز أن يراد: قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته، فبذلك: فمجيؤوها فليفرحوا"[٢].

من قرأ قوله تعالى: (فليفرحوا) بالياء تكون قراءته على أمر الغائب، وهم المؤمنون[٣].

وقد حذف الفعل الأول؛ لدلالة الثاني في قوله تعالى: (فبذلك فليفرحوا)[٤]. والتقدير:

قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا[١] والتكرير جاء للتأكيد[٢].

---

[١] قراءة نافع وابن كثير وابي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ينظر: حجة أبي زرعة: ٣٣٤، والتبصرة في القراءات: ٢٢٠، واتحاف فضلاء البشر: ٢٥٢، والبدور الزاهرة: ١٤٩.

[٢] الكشاف: ٣٣٦/٢.

[٣] ينظر: حجة أبي زرعة: ٣٣٤، وإملاء ما منَّ به الرحمن: ٣٠/٢.

[٤] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤/٢، وفتح القدير: ٤٥٣/٢.

ويرى العكبري أنّ الفعل المحذوف تقديره: "فليعجبوا بذلك فليفرحوا، كقولهم: زيداً فاضربه: أي تعمد زيداً فاضربه"[٣]، والفاء في هذا الفعل المحذوف داخلة في جواب شرط مقدّر [٤]، كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح[٥] أي: فضل الله ورحمته[٦].

اختلف العلماء في فضل الله ورحمته، فمنهم من يرى أنّ فضل الله هو القرآن، ورحمته الاسلام وهو ما ذهب إليه ابن عباس (رضى الله عنه)[٧] ونفر يرى أن فضل الله هو الايمان، ورحمته القرآن وهو ما ذهب إليه كل من الحسن والضّحاك ومجاهد وقتادة.[٨] وعن أُبيّ بن كعب: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تلا: (قُل بِفَضلِ اللهِ وبِرحمتِهِ) فقال: بكتاب الله والإسلام. وقيل: فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه.[٩]

ويرى الشوكاني[١٠] أَن الأولى في ذلك حمل الفضل والرحمة على العموم.

وحكى الفخر الرازي[١١] عن الكسائي: أنه يعيب قولهم: (فليفرحوا) لأنه وجده قليلاً فجعله عيباً.

ويعدها أبو حيان[١٢] لغة قليلة.

---

[١] ينظر: التفسير الكبير: ١٢٣/٩، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤/٢، وتفسير المنار: ٣٤٥/١١، وفتح القدير: ٤٥٣/٢.

[٢] ينظر: التفسير الكبير: ١٢٣/٩، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤/٢، والبحرالمحيط: ١٧٢/٥.

[٣] املاء ما منَّ به الرحمن: ٣٠/٢.

[٤] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤/٢، وفتح القدير: ٤٥٣/٢.

[٥] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤/٢.

[٦] ينظر: فتح القدير: ٤٥٣/٢.

[٧] المصدر نفسه.

[٨] المصدر نفسه.

[٩] ينظر: الكشاف: ٣٣٦/٢.

[١٠] ينظر: فتح القدير: ٤٥٣/٢.

[١١] ينظر: التفسير الكبير: ١٢٣/٩.

[١٢] ينظر: البحر المحيط: ١٧٢/٥.

الوجه الثاني: (فلتفرحوا) إسناد الفعل إلى ضمير المخاطبين (أنتم) وقد جاء بقوله:

"قرئ: (فلتفرحوا) بالتاء[١] وهو الأصل والقياس، وهي قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما روي. وعنه: (لتأخذوا مصافكم)[٢] قالها في بعض الغزوات. وفي قراءة أُبيّ: (فافرحوا)[٣] "[٤].

من قرأ بتاء الخطاب ولام الأمر، أي قوله تعالى: (فلتفرحوا) فحجته أن الأصل في صيغة الأمر الأمر باللام.

وبهذا قال النّحاس[٥] فقد ذكر أنّ سَبيل الأمر أن يكونَ باللام؛ ليكون معه حرف جازم كما أنّ مع النهي حرفاً.

وقال ابن جني: " (فلتفرحوا) بالتاء خرجت على أصلها، وذلك أنّ أصل الأمر أن يكون بحرف الأمر وهو اللام، فأصل أضرب لِتضرب، وأصل قم لِتقم..."[٦].

وإلى هذا ذهب كثير من النحاة اذكر منهم الرازي[٧] والآلوسي[٨].

كما انها قراءة النبي(صلى الله عليه وآله).[٩] والمعنى: فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمدٍ خير ممّا يُجْمِعُ الكفار[١٠].

وحكى الاخفش عن بعضهم أنّه: "قال بعضهم "فلتفرحوا" وهي لغة للعرب رديئة؛ لأن هذه اللام إنّما تدخل في الموضع الذي لا يقدر فيه على "افْعَلْ"، يقولون: لِيَقُلْ زَيْدٌ؛

---

[١] قراءة النبي (صلى الله عليه وآله) والكسائي في رواية زكريا بن وردان وابي جعفر ورويس، ينظر:: المحتسب: ٣١٣/١، ومختصر شواذ القراءات: ٥٧، واتحاف فضلاء البشر: ٢٥٢، وقراءات أهل البيت القرآنية: ٤٥، والبدور الزاهرة: ١٤٩.

[٢] أخرجه البيهقي في الدلائل: ١١٣/٣ عن الزهري مرسلاً في اثناء حديث مطول، هامش الكشاف: ٣٣٦/٢.

[٣] قراءة أُبيّ بن كعب ينظر: المحتسب: ٣١٣/١.

[٤] الكشاف: ٣٣٦/٢.

[٥] ينظر: اعراب القرآن: ٦٥/٢.

[٦] المحتسب: ٣١٤/١.

[٧] ينظر: التفسير الكبير: ١٢٤/٩.

[٨] ينظر: روح المعاني: ٢٠٦/١١.

[٩] ينظر: حجة أبي زرعه: ٣٣٤، وإعراب القرآن: ٦٥/٢، والمحتسب: ٣١٤/١.

[١٠] ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٤٦٩/١، والتفسير الكبير: ١٢٣/٩.

لأنّك لا تقدر على "افْعَلْ"، ولا تدخل اللام إذا كلمتَ الرجلَ فقلت: "قُلْ"، ولم تحتج إلى اللام "[1].

ويذهب ابن خالويه في كتابه الحجة في القراءات السبع إلى المذهب نفسه بقوله: " (فلتفرحوا) بالتاء، وهو ضعيف في العربية، لأن العرب لم تستعمل الأمر باللام للحاضر إلّا فيما لم يسمّ فاعله كقولهم: لِتُعْنَ بحاجتي"[2].

امّا في كتابه إعراب ثلاثين سورة من القرآن فتتغير لهجته بقوله: " (فبذلك فلتفرحوا) بالتاء على أصل الأمر، والاختيار عند جميع النحويين حذف اللام إذا أمرت حاضراً واثباتها إذا أمرت غائباً"[3].

وخلاصة الأمر فإنّ لكلتا القراءتين وجهاً صحيحاً من ناحية الإعراب والمعنى، ويشدني ما حواه روح المعاني مما ذكره صاحبه بأنه نُقِل عن شرح اللب في توجيه هذه الآية أنه لمّا كان النبي(صلى الله عليه وآله) مبعوثاً إلى الحاضر والغائب جمع بين اللام والتاء، فكأنه عنى أنّ الأمر لمّا كان للمؤمنين حاضرهم وغائبهم غُلِبَ الحاضرين في الخطاب على الغائبين وأتى باللام رعاية لأمر الغائبين[4]. والله أعلم.

٢-**(قُل لِلذَينَ كَفَروا سَتُغلَبُونَ وَتُحشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وَبِئسَ المِهَادُ)** (آل عمران/١٢).

ذكر الزمخشري وجهين من القراءة في قوله تعالى: (ستغلبون) و(تحشرون) هما:

---

[1] معاني القرآن، الأخفش: ٢/٣٤٥.

[2] حجة ابن خالويه: ١٥٧.

[3] إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٤٣.

[4] ينظر: روح المعاني: ١١/٢٠٦.

١-إسناد الفعل إلى ضمير الخطاب (أنتم)

٢-إسناد الفعل إلى ضمير الغيبة (هم)

وقد وجههما بما يناسبهما من التوجيه النحوي، وذلك على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: إسناد الفعل إلى ضمير الخطاب (أنتم)، وقد أشار إليه بقوله:

" (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون)[١] يعني يوم بدر. وقيل هم اليهود. لما غَلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بدر قالوا: هذا والله النبيّ الأميّ الذي بشرنا به موسى، وهمّوا باتباعه. فقال بعضهم: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعةٍ أخرى، فلما كان يوم أحد شَكُّوا. وقيل: جمعهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم أني نبيّ مرسل، فقالوا: لا يغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن النّاس، فنزلت[٢]...فإن قلت: أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى؟ قلت: معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم. فهو إخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ."[٣].

الحجة لمن قرأ قوله تعالى: (ستغلبون) و(تحشرون) بالتاء، أنّه أراد: قل لهم يا محمَّد مواجهاً بالخطاب: ستغلبون[٤]، في الدنيا وتعذبون في الآخرة[٥]، وهو أمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم[٦]، ويكون من عند نفس النبيّ بمضمون الكلام حتى لو كذّبوا كان التكذيب راجعاً إليه[٧].

---

[١] قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وابن عامر، ينظر: الحجة/ ابن خالوية: ٨٢، والبدور الزاهرة: ٥٩.

[٢] اخرجه أبو داود (٣٠٠١) والطبري(٦٦٦٣) كلاهما عن ابن عباس ينظر: هامش علىالكشاف: ٣٦٨/١، والمحرر الوجيز: ٣٥/٣، وفتح القدير: ٢٩٢/١.

[٣] الكشاف: ٣٦٨/١.

[٤] ينظر: الحجة/ابن خالويه: ٨٢، واملاء ما من به الرحمن: ١٢٦/١.

[٥] ينظر: تفسير المنار: ١٩٤/٣.

[٦] ينظر: التفسير الكبير: ٢٠٢/٤.

[٧] ينظر: روح المعاني: ١٥٤/٣.

واختلف في الذين أُمِر بالقول لهم من الكفار، قيل هم اليهود والمشركون، هذا ما ذهب إليه الفراء بقوله: " من قرأ بالتاء جعل اليهود والمشركين داخلين في الخطاب"[١] واردف قائلاً أنه يجوز في هذا المعنى "سيغلبون" و"ستغلبون" كما تقول: قل لعبد الله إنه قائم وإنك قائم[٢].

أيده أبو علي الفارسيّ بأنّ المقصود هم اليهود والمشركون فيما حكاه ابن عطيه أَنَّ أبا علي الفارسيّ رجح قراءة التاء[٣]. وهي قراءة حسنة عند الرازي[٤].

وتظاهرت روايات بأنّ المراد يهود المدينة، ودليلهم على ذلك ما جاء في حديث ابن عباس(رضى الله عنه)، وذلك لمّا أصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريشاً يوم بدر، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال: "يا معشر اليهود..." وذكر الحديث بتمامه[٥]، هذا على حدِّ قول ابن عطية[٦]. وهو أحد الوجوه التي ذهب إليها الزمخشري فيمن أمر بالقول لهم من الكفار، تبعه في ذلك القرطبي[٧].

الوجه الثاني: إسناد الفعل إلى ضمير الغيبة (هم)، وقد ذكره بقوله:

"قرئ: (سيغلبون) و(يحشرون)، بالياء[٨]، كقوله تعالى: (قُل لِلذينَ كَفَروا إن يَنتَهوا يُغفَر لَهُم) (الأنفال/٣٨) على قل لهم قولي لك سيغلبون...ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي

---

[١] معاني القرآن، للفراء:١/١٩١.

[٢] ينظر: معاني القرآن، للفراء:١/١٩١.

[٣] ينظر: المحرر الوجيز: ٣/٣٥.

[٤] ينظر: التفسير الكبير: ٤/٢٠٢

[٥] اخرجه أبو داود(٣٠٠١) والطبري(٦٦٦٣) كلاهما عن ابن عباس ينظر: هامش الكشاف: ١/٣٦٨، والمحرر الوجيز: ٣/٣٥، وفتح القدير: ١/٢٩٢.

[٦] ينظر: المحرر الوجيز:٣/٣٥.

[٧] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/١٧.

[٨] قراءة حمزة والكسائي ونافع وخلف، ينظر: السبعة في القراءات:٢٠٢، والكشف: ١/٣٣٥، والنشر في القراءات العشر: ٢/٢٣٨، واتحاف فضلاء البشر: ١٧١، والبدور الزاهرة: ٥٩.

لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه. كأنه قال: أدِّ إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون"[١].

من قرأ بالياء فلأنه ذهب إلى مخاطبة اليهود، وأتى به على لفظ الغيبة؛ لأنهم غيب حين أمر نبيه الكريم محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) بالقول لهم سيغلب المشركون ببدر ويحشرون إلى جهنم[٢]، والضمير عائد إلى قوله تعالى: (للذين كفروا) وتكون الجملة محكية بـ"قُلْ" والتقدير: قل لهم يا محمّد قولي سيغلبون، وأخباري أنه يقع عليهم الغلبة والهزيمة، كما قال تعالى: **(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)** (الأنفال/٣٨)[٣].

مما ينبغي أن يذكر هاهنا أنّ أبا زرعه كان قد سبق الزمخشري إلى هذا التوجيه من قبل، إذ قال: " قرأ حمزة والكسائي: "سيغلبون ويحشرون" بالياء فيهما. أي: " بلّغهم بأنهم سيغلبون" وحجتهما إجماع الجميع على قوله (قُل لِلذيَنَ كَفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) (الأنفال/٣٨/٨)[٤].

ويقوي قراءة الياء ما ذهب إليه أهل التفسير في هذه الآية، ذلك أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود بعضهم لبعض: "هذا هو النبي الذي لا تُردّ له راية" فصدّقوا، فقال بعضهم: "لا تعجلوا بتصديقه حتى تكون وقعة أخرى" فلما أصاب المسلمين يوم أحد ما أصابهم شَكُّوا في أمره وخالفوه[٥]، فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: قل يا محمّد لليهود سيغلب المشركون ويحشرون إلى جهنم، فعلى هذا المعنى لا تجوز القراءة إلا بالياء[٦].

---

[١] الكشاف: ٣٦٨/١.

[٢] ينظر: معاني القرآن، للفراء:١٩١/١، والحجة/ابن خالويه:٨٢.

[٣] ينظر: البحر المحيط:٣٩٢/٢.

[٤] حجة/أبي زرعة:١٥٤.

[٥] ينظر: حجة/أبي زرعة:١٥٤، والكشف: ٣٣٥/١.

[٦] ينظر: معاني القرآن الفراء:١٩١/١، وجامع البيان: ٢٢٦/٦.

ويرى مكي بن أبي طالب أنّ ما يقوي قراءة الياء إجماع القراء على قوله تعالى: (قُل لِلذيَنَ ءامنوا يَغْفِرُوا للذين لا يرجونَ أيَّامَ اللهِ) (الجاثية/١٤)[١]، والانتقال من خطاب الموجهة إلى الخبر بلفظ الغائب[٢].

بهذا يتضح توجيه القراءتين، والذي يبدو أنّ كلتيهما راجحتان بناءً على ما تم تقديمه من مسوغٍ بين يدي تلكما القراءتين. والله أعلم.

[١] ينظر: الكشف:١/٣٣٥.

[٢] ينظر: مجمع البيان: ٣/٢٢.

فتح همزة "أن" وكسرها"

جاءت عدّة قراءات فيها"أن" مفتوحة الهمزة تارة ومكسورة تارة أخرى،ومن ذلك ما جاء بشأن قوله تعالى:(**وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة مّن الأرض تكلّمهم أنَّ الناس كانوا بئايتنا لا يوقنون)** (النمل/٨٢).

وقد ذكر صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى:(أنّ النّاس) هما:

١-كسر همزة "إن" على وجه القول

٢-فتح همزة "أن" بتقدير حرف جرّ قبلها

ثم وجه كلتا القراءتين التوجيه النحوي الآتي:

الوجه الأول: كسر همزة "إن" على وجه القول، إذ قال:

"والقراءة بإن[١] مكسورة: حكاية لقول الدابة، إما لأنّ الكلام بمعنى القول. أو بإضمار القول، أي: تقول الدابة ذلك. أو هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك. فإن قلت: إذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا؟ قلت قولها حكاية لقول الله تعالى. أو على معنى بآيات ربنا. أو لاختصاصها بالله وأثرها عنده، وأنها من خواص خلقه: أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: خيلنا وبلادنا، وإنما هي خيل مولاه وبلاده."[٢].

القراءة بـ"إنّ" مكسورة تحتمل قولين[٣]:

الأوّل: أن تكون الجملة مستأنفه، وقد صرَّح به جماعة من النحاة والمفسرين[٤]، وعلى رأسهم الكسائي والفرّاء اللذين جزما بذلك[٥].

---

[١] قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وابي عمرو، ينظر: التبصرة في القراءات: ٢٨٤، والتيسير في القراءات السبع ١٦٩، واتحاف فضلاء البشر: ٣٣٩، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ٢٣٨.

[٢] الكشاف: ٣/٣٩٠.

[٣] ينظر: اعراب القرآن: ٢/٥٣٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٣/١٥٨.

[٤] ينظر: معاني القرآن، الفرّاء: ٢/٣٠٠، وإملاء ما منَّ به الرحمن: ٢/١٧٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ١٥٨، واتحاف فضلاء البشر: ٣٣٩، وفتح القدير: ٤/ ١٥٢.

[٥] ينظر: معاني القرآن، الفرّاء: ٢/٣٠٠، وفتح القدير: ٤/١٥٢.

الثاني: لأن الكلام بمعنى القول، أو إضمار القول[١]، أي: حكاية لقول الدابة[٢]، أي: تقول لهم: إن الناس[٣]. أو حكاية لقول الله تعالى[٤]، بيّن به انه اخرجها لهذه العلة[٥].

ونفى الشوكاني أن تكون القراءة بالكسر أي: قوله تعالى: (إنّ النّاس) من كلام الدابة إذ قال: "وأمّا على قراءة الكسر فالجملة مستأنفة كما قدّمنا، ولا تكون من كلام الدابة"[٦].

الوجه الثاني: فتح همزة "أن" بتقدير حرف جرّ قبلها، إذ قال:

"ومَنْ قرأ بالفتح[٧] فعلى حذف الجار، أي: تكلّمهم بأنّ."[٨].

القراءة بالفتح أي: قوله تعالى: (أنّ النّاس) فعلى نزع الخافض، وإن فقد الخافض[٩]، وهو ما ذهب إليه الكسائي. أي: "بأنّ النّاس" وحجتهم أنها في قراءة ابن مسعود(رضىالله عنه): (تكَلِمهُم بأَنّ النّاسَ) بالباء[١٠].

ويرى الدمياطي في الباء انها: "تحتمل التعدية والسببية، أي: تحدَّثهم بأنّ النّاس، أو بسبب انتفاء الايمان"[١١].

---

[١] ينظر: التفسير الكبير: ٢١٨/٢٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٥٨/١٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٢٦/٢.

[٢] ينظر: التفسير الكبير: ٢١٨/٢٤.

[٣] ينظر: اعراب القرآن: ٥٣٥/٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٥٨/١٣، وفتح القدير: ١٥٢/٤.

[٤] ينظر: التفسير الكبير: ٢١٨/٢٤، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٢٦/٢.

[٥] ينظر: التفسير الكبير: ٢١٨/٢٤.

[٦] فتح القدير: ١٥٢/٤.

[٧] قراءة حمزة والكسائي وعاصم ويعقوب وخلف، ينظر: التبصرة في القراءات: ٢٨٤، والتيسير في القراءات السبع: ١٦٩، والاقناع في القراءات السبع: ٧٢١/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٣٣٩، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ٢٣٨.

[٨] الكشاف: ٣٩٠/٣.

[٩] الحجة لابن خالويه: ٢٧٥، وينظر جامع البيان: ١٢/٢٠، والبحر المحيط: ٩٧/٧، واتحاف فضلاء البشر: ٣٣٩.

[١٠] ينظر: المحتسب: ١٤٥/٢، وفتح القدير: ١٥٢/٤.

[١١] اتحاف فضلاء البشر: ٣٣٩.

فلما سقطت الباء حكم عليها بالنصب[١]؛ لوقوع تكلّمهم عليها[٢] على أنها مفعول به ثانٍ لها[٣] أي: أنّ الفعل تعدّى إليها في قول نحاة البصرة.

ولم يفضّل الزمخشري أيّاً من القراءتين فكلتاهما سبعية متواترة.

القراءتان مشهورتان وصحيحتان من ناحيتي الاعراب، والمعنى، ويرى الشوكاني أنّ معنى القراءة الأولى راجع إلى معنى القراءة الثانية[٤]. وبذلك لا يخرج من قوله: (أنّ النّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون). والله أعلم.

---

[١] ينظر: حجة ابي زرعة: ٥٣٨.

[٢] ينظر: معاني القرآن، الفراء: ٢/٣٠٠.

[٣] ينظر: المشكل: ٢/٥٤٠.

[٤] ينظر: فتح القدير: ٤/١٥٢.

إنّ الثقيلة:

مما ورد في ضمن هذا الضرب:

قوله تعالى: **(فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرُّوا النّجوى، قالوا إنّ هذانِ لسَحِرانِ يريدانِ أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى)** (طه،٦٢-٦٣).

وردت قراءتان في قوله تعالى: (إن هذان) ذكرهما الزمخشري:

١-تشديد نون "إنّ"

٢-تخفيف نون "إنْ"

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلا الوجهين على النحو الآتي:

الوجه الأول: تشديد نون (إنّ) ذكره بقوله:

"قرأ أبو عمرو: (إنّ[١] هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة...وقرأ ابن مسعود: (أنّ هذانِ ساحران) بفتح أن وبغير لام، بدل من النجوى"[٢].

فمن قرأ بتشديد نون "إنّ" و"هذان" بألف ونون خفيفة، فالقاعدة النحوية تقول: إن الاسم بعد "إن" منصوب، ولمّا كان الواقع بعدها مثنى كان ينبغي أن يأتي بالياء؛ لأنها علامة نصب المثنى[٣].

فذهب ابو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر إلى "أن هذه القراءة غلط من الكاتب"[٤].

وقد سلك النحاة مسلكين في توجيهها:

الأوّل: الأخذ بالقراءة من دونِ تأويل، وذهب إليه كل من الكسائي والفرّاء والاخفش الأوسط.

إذ جاءت على لهجة بني الحارث بن كعب يجعلون المثنى بالألف رفعاً ونصباً وجراً[٥].

---

[١] قراءة حمزة وابن عامر وابي عمرو وعاصم برواية ابي بكر ونافع والكسائي، ينظر: السبعة في القراءات: ٤١٩، والكشف: ٩٩/٢، والتيسير: ١٥١، وزاد الميسر: ٢٩٧/٥، والنشر: ٣٢١/٢، والاتحاف: ٣٠٤.

[٢] الكشاف: ٧٤/٣.

[٣] ينظر: النحويون والقراءات القرآنية: ص١٤١.

[٤] ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٤٠.

[٥] ينظر: معاني القرآن: ١٨٤/٢، اعراب القرآن: ٣٤٥/٢.

وحكى الزجاج أن ترك ألف التثنية على هيأة واحدة هو مذهب بني كنانة[١].

الوجه الثاني: للعلماء مذاهب في تأويل ذلك:

١-الإضمار بعد "إن" فيكون "هذان لساحران" مبتدأ وخبراً والجملة خبر لأن، والتقدير: "إنّه هذان لساحران"[٢]، وضعّفه أبو علي الفارسي، وابن الانباري[٣] وذلك لدخول اللام في الخبر.

ولا يُلتفت إلى هذا؛ لأنّ إضمار الهاء بعد "إنّ" جاء على اللغة القليلة، وقال به النحويون القدامى[٤].

٢-إنَّ إنَّ" بمعنى نعم، قال الزمخشري: "وقال بعضهم: (إنّ) بمعنى نعم. و(لساحران) خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على الجملة تقديرة: لهما ساحران. وقد أعجب به أبو اسحاق"[٥].

وزعم ابن هشام أن اللام زائدة وليست للابتداء، أو بأنها داخلة على مبتدأ محذوف، أي: لهما ساحران[٦]، وهو مذهب سيبويه قال: أمّا قول العرب في الجواب "إنَّهُ" فهو بمنزلة "أجل" فإذا وصلت قلت: "إنّ يا فتى" وهي التي بمنزلة أجل. قال الشاعر[٧]:

بكر العواذلُ في الصبو حِ يَلُمْنَني وألومُهُنَّه

وَيقُلْنَ شيبٌ قد علا كَ وقد كبرتَ فقلت: إنه[٨]

وعلى هذا يُحتمل قوله (صلى الله عليه وآله): (إنّ الحمدُ لله نحمدُهُ)[٩]،

---

[١] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٣/٣٦٥.

[٢] ينظر: اعراب القرآن: ٢/٣٤٣.

[٣] ينظر: مجمع البيان: ٢/١٤٦.

[٤] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٣/٣٦٢.

[٥] الكشاف: ٣/٧٤.

[٦] ينظر: مغني اللبيب: ٥٧.

[٧] ينظر: ديوان عبد الله الرقيات: ٦٦.

[٨] الكتاب: ٣/١٥١

[٩] ينظر: اعراب القرآن: ٢/٣٤٣.

كأنه أراد (نعم الحمدُ لله)، وكانت الجاهلية تفتتح خطبتها بـ"نعم"[١].

وقد ردّ بعض العلماء هذا الرأي؛ لأن (إنّ) إذا كانت بمعنى (نعم) إرتفع ما بعدها بالابتداء، واللام لا تدخل على خبر مبتدأ جاء على أصله[٢].

وقال بعض النحويين إنها ينوى بها التقديم، والمعنى: إنّ هذان لهما ساحران[٣].

فوجه الكلام في الآية "إنّ" حُمِلت بمعنى نعم: إنّ لهذان ساحران، كما تقول: نعم لهذان ساحران، ونعم لمحمّدٌ رسول الله. وفي تأخير اللام مع لفظ "إنّ" بعض القوة على نعم[٤].

٣-إنّ "هذان" اسم إشارة وهو مبنى، ويكون الحالِ واحدة في الرفع والنصب والجر، وإنّ قول الاكثرين "هذين" جراً ونصباً ليس إعرابا أيضا، واختاره ابن الحاجب[٥].

فقراءة أبي عمرو بن العلاء "إنّ هذين لساحران" واضحة من حيث الإعراب"والمعنى: أنّ (هذين) اسم إنّ نصب الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام للتأكيد، لكن استشكلت من حيث خط المصحف، وذلك أنّ هذين رسم بغير ألف ولا ياء، ولا يُردّ بهذا على أبي عمرو وكم جاء في الرسم مما هو خارج عن القياس مع صحة القراءة به وتواترها، وحيث ثبت تواتر القراءة فلا يلتفت لطعن الطاعن فيها، وافقه اليزيدي[٦] والمطوعي[٧]"[٨].

الوجه الثاني: تخفيف نون "إن" ذكره الزمخشري بقوله:

---

[١] ينظر: البيان: ١٤٥/٢.

[٢] ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٤٦٦/٢، مجمع البيان: ١١٠/٧.

[٣] ينظر: اعراب القرآن: ٢٤٦/٢.

[٤] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٣٦٢/٣، ومشكل اعراب القرآن: ٤٦٦/٢.

[٥] ينظر: امالي ابن الحاجب: ١٥٧/١، وقراءة شعبة عن عاصم: ١٩٢.

[٦] اليزيدي: هو أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، العدوي ،البصري اماماً في اللغات والآداب، قام بعد أبي عمرو بالقراءة قيل: أملي عشرة آلاف ورقة من صدره عن أبي عمرو خاصة. (توفي ٢٠٢هـ) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٩٦/١.

[٧] المطوعي: أبو العباس الحسن بن سعيد المطوعي. كان اماماً في القراءات عارفاً بها، ضابطاً لها، ثقة، هو احد راوبي الاعمش توفي ٣٧١هـ، ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٩٨/١.

[٨] اتحاف فضلاء البشر: ٣٠٤.

"وابن كثير وحفص (إِنْ هذانِ لساحران)[1] على قولك: إن زيد لمنطلق.واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة. وقرأ أُبيّ:(إنْ ذانِ إلاّ ساحران). "[2]
واما قراءة التخفيف أي تخفيف"إن" ،فالوجه عند النحاة هو أن ما بعدها مبتدأ و خبر و اللام التي في الخبر يسمونها اللام الفارقة، أي التي تفرق بين "إن" المخففة من الثقيلة و النافية،و على تقدير الكوفيين ف"إن" بمعنى "ما" واللام بمعنى "إلاّ" وتقدير الكلام: ما هذان إلاّ ساحران[3].

وقد ذهب الزمخشري في توجيه القراءة المشهورة"إن هذان لساحران" مذهب المحققين في اعتماد اللهجات العربية قاعدة، لا القاعدة النحوية على مذهب العلماء وذلك قوله:"وقيل في القراءة المشهورة(إن هذان لساحران) هي لغة بلحارث بن كعب ، جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها الف،كعصا و سعدى، فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب"[4].

و قراءة التخفيف في"إن" قراءة حسنة: لأن في ذلك إصلاحاً للإعراب وعدم مخالفة لرسم المصحف عند مكي ،و مذهب الكوفيين فيها احسن عنده ويسلم الكلام من الخلل بحسب قوله[5].

إن الآراء والأقوال التي ذكرت كلها لها وجوه ظاهرة الصحة في لغة العرب، وليس في القرآن الكريم حرف إلاّ وله وجه صحيح في العربية، والقراءات صحيحة السند الى الرسول(صلى الله عليه وآله) كما انها جاءت موافقة للسان العرب. وما نطقت به القبائل.

---

[1] قراءة ابن كثير وعاصم برواية حفص: ينظر: التبصرة في القراءات: ص٢٦٠، تقريب النشر في القراءات العشر: ص١٤١، الاتحاف: ٣٠٤.

[2] الكشاف: ٣/٧٤.

[3] ينظر مشكل اعراب القرآن:٢/٤٦٧،مغنى اللبيب ٣٦،٣٧.

[4] الكشاف :٣/٧٤

[5] ينظر: مشكل اعراب القرآن:٢/٤٦٧، الكشف:٢/٩٩.

"من"

وردت قراءةٍ واحدة جاءت فيها "من" حرف جر مرة، واسماً موصولاً مرة أخرى، وذلك في قوله تعالى: **(فناداها مِنْ تَحِتَها ألَّا تحزني قد جعل ربُّك تحتك سريّاً)** (مريم/٢٤).

وقد ذكر صاحب الكشاف وجهين من القراءة في قوله تعالى: (مِن تَحِتَها) هما:

١-"مَنْ" اسم موصول

٢-"مِنْ" حرف جرّ

ثم وجه كلا الأمرين، ذلك على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: "مَنْ" اسم موصول، إذ قال:

" (مَنْ تَحْتَها) هو جبريل (عليه السلام). قيل: كان يقبل الولد كالقابلة. وقيل: هو عيسى وهي قراءة[١] عاصم وأبي عمرو. وقيل: "تَحْتَها" أسفل من مكانها، كقوله تعالى: (تجري من تحتها الانهار) (البقرة/٢٥) وقيل: كان أسفل من تحت الأكمة، فصاح بها لا تحزني"[٢].

فعلى هذا الوجه تكون (مَنْ) اسماً موصولاً، وتعرب على انها فاعل النداء، وهو عيسى (عليه السلام)[٣]. على تقدير: "فناداها الذي تحتها"، وكان أبو زرعة قد ذكر ذلك بقوله: "قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر: (فناداها مَنْ تَحتَها) بفتح الميم والتاء، جعلوا (مَنْ) اسماً وجعلوا النداء له، والمعنى: "فناداها الذي تحتها" وهو عيسى، و"تحتها" صلة "من" وحجتهم ما روى عن أُبي بن كعب، قال: الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها"[٤].

وتابعه مكى في مثل هذا الرأي، إذ قال: "فأمّا من فتح الميم من "مَنْ" فإنه جعل (من) هو الفاعل وليس في "فناداها" ضمير فاعل و"مَنْ" في هذه القراءة هو عيسى (عليه السلام)؛ لأنه هو الذي أسفل منها فوقعت من للخصوص في هذا وأصلها أن تكون للعموم"[٥].

وكان الزجاج قد ذهب إلى أن المنادى هو عيسى (عليه السلام)، فقال: "ومن قرأ (مَنْ تَحتَها) عنى عيسى (عليه السلام) "[٦].

وفاعل النداء عند الفرّاء هو الملك في كلتا القراءتين، إذ قال: " وقوله: (فناداها مِنْ تَحتِها)، و (ناداها مَنْ تَحتَها) وهو الملك في الوجهين جميعاً، أي: فناداها جبريل مِن تحتها، وناداها مَن تحتها: الذي تحتها"[٧].

---

[١] قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، ينظر: السبعة في القراءات: ٤٠٨، والعنوان في القراءات السبع: ١٢٦، والنشر في القراءات العشر: ٣١٨/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٢٩٨.

[٢] الكشاف: ١٤/٣.

[٣] ينظر: الكشف: ٨٧/٢.

[٤] حجة أبي زرعة: ٤٤١.

[٥] مشكل اعراب القرآن: ٤٥١/٢.

[٦] معاني القرآن واعرابه: ٣٢٥/٣.

[٧] معاني القرآن، للفرّاء: ١٦٥/٢.

والمنادى هو جبريل (عليه السلام) ذهب إليه القرطبي، فذكر أنّ المراد بـ"مَنْ" جبريل (عليه السلام) ولم يتكلم عيسى (عليه السلام)، حتى أتت به قومها.[١]

الوجه الثاني: "مِنْ" حرف جرّ، ذكره الزمخشري بقوله:

"وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص (مِنْ تَحتِها)[٢] وفي ناداها ضمير الملك أو عيسى ، وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة، وقرأ زرّ و علقمة : "فخاطبها من تحتها "[٣]

فقوله تعالى:(من تحتها) جاءت فيه "مِنْ" حرفاً خافضاً للظرف "تحتها" وهي الحجة التي ساقها ابن خالويه لمن كسر الميم والتاء، وتبعه مكي في ذلك[٤].والهاء في "فناداها" فاعل[٥].

ونجد أنه قد اختلفت الروايات عن السلف الصالح بشأن المنادي أهو جبريل أم عيسى عليهما السلام؟[٦]

قالت طائفة: إنّه جبريل (عليه السلام)، وعلى رأسها ابن عباس(رضى الله عنهما) ومن ثم عمرو بن ميمون الأودي،و الضحّاك و قتادة و السُّدي و سعيد بن جبير في احدى الروايتين عنه وعلقمة[٧].

وأخرى قالت: إنّه عيسى (عليه السلام) وهم أبي و مجاهد و الحسن و سعيد بن جُبير في الرواية الأخرى عنه[٨].

فالذي قرأ بكسر الميم من "مِنْ" كان المنادى عنده هو الملك –جبريل–وهو ما ذكره ابو زرعة بقوله:"وقرأ الباقون:(مِنْ تحتِها) بكسر الميم والتاء، أي فناداها جبريل من

---

[١] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦٤/١١.

[٢] قراءة نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف، ينظر: السبعة في القراءات: ٤٠٩، والتبصرة في القراءات: ٢٥٦، والنشر في القراءات العشر: ٣١٨/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٢٩٨.

[٣] الكشاف ١٤/٣.

[٤] ينظر: الحجة /ابن خالويه:٢١٢، والكشف: ٨٦/٢.

[٥] ينظر: البحر المحيط:١٨٣/٦

[٦] ينظر: جامع البيان: ٦٧/١٦-٦٨.

[٧] ينظر: جامع البيان: ٦٧،٦٨/١٦ ، و الجامع لأحكام القرآن: ٩٣/١١، والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور:٢٦٨/٤، و اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٢٤٥/٤.

[٨] ينظر: جامع البيان:٦٨/١٦، و البحر المحيط:١٨٣/١٦، والدرّ المنثور بالتفسير بالمأثور:٢٦٨/٤، و اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن:٢٤٥/٤.

يديها"، وحجتهم: ما روي عن ابن عباس (رضى الله عنه) (مِنْ تحتِها) قال جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها[١].

وهو مذهب الزجاج، الذي قال: "ومن قرأ (مِنْ تَحتِها) عنى به الملك"[٢]، تبعهم في ذلك كُلٌّ من القرطبي[٣] وصديق خان[٤].

وهناك جمع من النحاة والمفسرين يجيز أن يكون المنادى إمّا جبريل وإمّا عيسى على قراءة من قرأ بكسر الميم من "مِنْ"، وهو ما ذهب إليه كل من مكى القيسي، وأبى البقاء العكبري، والشوكاني، والقاسمي[٥].

ولم يفضّل الزمخشري أيّاً من القراءتين فكلتاهما سبعية متواترة.

أمّا المنادى فيبدو لي أنه عيسى (عليه السلام)؛ وذلك لأنّ موضع الولادة موضع اللون والنظر إلى العورة وذلك لا يليق بالملائكة[٦]. ولو كان المنادى ملكاً لناداها من علوٍ أي من الجهة المتنزل منها وليس من أسفل منها[٧]. وهذا لا يكون إلا من الوليد وهو سيدنا عيسى بن مريم (عليه السلام) والله أعلم[٨].

---

[١] حجة أبي زرعة: ٤٤١.

[٢] معاني القرآن واعرابه: ٣٢٥/٣.

[٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩٣/١١.

[٤] ينظر: فتح البيان: ١٨/٦.

[٥] ينظر: مشكل اعراب القرآن: ٤٥١/٢، والتبيان في اعراب القرآن: ٨٧١/٢، وفتح القدير: ٣١٨/٣، ومحاسن التأويل: ٤١٣٤/١١.

[٦] ينظر: التفسير الكبير: ٢٠٤/٢١.

[٧] التفسير القرآني للقرآن: ٧٣١/١٦.

[٨] ينظر: التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تفسير الطبري (رسالة ماجستير): ١٠٦،١٠٧.

"لا"

وردت عدة قراءات للاداة "لا" ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **(لآ أقسم بيوم القيامة)** (القيامة/١).

وقد ذكر الزمخشري وجهين لقراءة "لا" في قوله تعال: (لآ أقسم) هما:

١- "لا أقسم" مفصولة نفي للقسم.

٢-"لأقسم" بوصل اللام على انها لام الابتداء.

ثم وجه القراءتين على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: "لا أقسم" مفصولة نفي للقسم، إذ قال:

"إدخال "لا" النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس:[١]

لآ وَأبيكِ ابْنَةَ العَامِرِيّ لا يدَّعِى القَومُ أنَّي أَفِرّ

[١]البيت لأمرئ القيس، الديوان: ١٥٤.

وقال غوثة بن سلمى:[1]

ألاَ نَادَتْ أُمَامَةُ باحتِمالِ لِتَحْزُنَني فَلاَ بِكِ ما أُبَالي

وفائدتها توكيد القَسم، وقالوا إنها صلة مثلها في (لئلا يعلم أهل الكتاب) (الحديد/٢٩) وفي قوله:

في بِئْرِ لا حورٍ سَرَى وَمَا شَعَرْ[2]

واعترضوا عليه بأنها تزداد في وسط الكلام لا في أوّله، وأجابوا بأنّ القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض[3]. والاعتراض صحيح؛ لأنها لم تقع مزيدة إلا في وسط الكلام؛ ولكن الجواب غير سديد. ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته. والوجه أن يقال: هي للنفي. والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء إلا

اعظاماً له يدلك عليه قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) (الواقعة/٧٥-٧٦)، فكأنه بإدخال حرف النفي يقول: إنّ إعظامي له بإقسامي به كلا إعظام؛ يعني أنه يستأهل فوق ذلك.

وقيل إن "لا"[4] نفي لكلام ورد له قبل القسم، كأنهم أنكروا البعث فقيل: لا، أي: ليس الأمر على ماذكرتم، ثم قيل: أقسم بيوم القيامة. فإن قلت: قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون) (النساء/٦) والأبيات التي أنشدتها: المقسم عليه فيها منفي، فهلا زعمت أنّ "لا" التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له، وقدّرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفياً. كقوله تعالى: (لآ أقسِمُ بيومِ القيامة) (القيامة/١)، لا تتركون سدى؟ قلت: لو قصر الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ، ولكنه لم يقصر..."[5].

---

[1] البيت لغوية بن سلمي بن ربيعة في كلمة له في الحماسة، ينظر: الخصائص: ١٩/٢، والكشاف: ٦٥٩/٤.

[2] البيت لغوية بن سلمى، وهو صدر بيت وعجزه: بإفكه حتى إذا الصبح جشر. الحور: الهلكة او الهلاك، وسرى: سار ليلاً، والإفك: الباطل، وجشر: أضاء واتضح، ينظر هامش على الكشاف: ٦٥٩/٤.

[3] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٢٥١/٥.

[4] قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو، ينظر: السبعة في القراءات:٦٦، التبصرة في القراءات: ٣٦٥، العنوان في القراءات السبع: ٢٠٠، اتحاف فضلاء البشر: ٤٢٨.

[5] الكشاف: ٦٦٠/٤.

اختلف النحويون في إعراب (لا) مفصولة عن (أقسم) ولهم في ذلك مذاهب، فذهب الكسائي وأبو عبيدة إلى أنها صلة زائدة[١] والتقدير: "أقسم بيوم القيامة"[٢] وزيادة (لا) للتأكيد[٣]. تابعهم فيما ذهبوا إليه الأخفش فيما رواه عنه القرطبي في جامِعِه[٤] وابن خالويه[٥] والعكبري[٦].

أمّا الفرّاء فيرى أن (لا) ردّ لكلام مقدر أو نافية لمحذوف، وهو بذلك لا يعدها زائدة إذ قال: "كان كثير من النحويين يقولون (لا) صلة... ولا يبتدئ بجحد، ثم يجعل صلة يراد به الطرح؛ لأنّ ذلك لو جاز لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه، ولكن القرآن جاء بالردّ على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجاءت الاقسام بالردِّ عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه، وغير المبتدأ، كقولك في الكلام: لا والله لا أفعل ذاك، جعلوا (لا) وان رأيتها مبتدأه رداً لكلام قد كان مضى، فلو ألقيت (لا) مما ينوي به الجواب لم يكن بين اليمين التي تكون جواباً واليمين التي تستأنف فرق، ألا ترى أنّك تقول مبتدئاً: والله انّ الرسول(صلى الله عليه وآله) لحقّ، فإذا قلت: لا والله ان الرسول(صلى الله عليه وآله) لحقّ، فكأنك أكذبت قوماً أنكروه، فهذه جهة (لا) مع الاقسام، وجميع الايمان في كل موضع ترى فيه (لا) مبتدأ لها، وهو كثير في الكلام)[٧].أيده كل من ابن قتيبة والقرطبي وابن كثير[٨].

---

[١] ينظر: حجة أبي زرعة: ٧٣٥.

[٢] ينظر: مجاز القرآن:٢/٢٧٧.

[٣] ينظر: معاني الحروف: ٨٤.

[٤] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٤٠.

[٥] ينظر: الحجة/ ابن خالويه: ٣٢٩.

[٦] التبيان في اعراب القرآن: ٢/١٢٥٣.

[٧] معاني القرآن، الفرّاء: ٣/٢٠٧.

[٨] ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٤٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٩/٦١،٦٠، وتفسير القرآن العظيم: ٤/٤٤٨.

وقد أورد الزجاج الآراء الاعرابية التي قيلت في(لا)، مخرجاً توجيه من قال: إنَّ (لا) زائدة، بأنّ القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض[١].

مما ينبغي أن يذكر هاهنا أن الزجاج كان قد سبق الزمخشري في تخريجه هذا، والزمخشري فصّل في ذلك.

أمّا قول الفرّاء بأنّ (لا) لا تزاد في أول الكلام، فمردود عند النّحاس، معللاً ذلك بما ذهب اليه الزجاج[٢]، أي: أنّ القرآن كله كالسورة الواحدة.

الوجه الثاني: (لأقسم) بوصل اللام على انها لام الابتداء، ذكره الزمخشري بقوله: " وقرئ: (لأقسم)[٣] على أنّ اللام للابتداء. وأقسم خبر مبتدأ محذوف، معناه: لأنا أقسم. قالوا: ويعضده أنه في الإمام بغير ألف"[٤].

وللعلماء في لام "لأقسم" آراء:

فأصحاب الرأي الأوّل قالوا: إنها لام القسم دخلت على الفعل (أقسم)، وعلى رأس هؤلاء الفرّاء[٥] والطبري[٦].

الرأي الثاني: ذهب إليه ابن جني سابقاً فيه الزمخشري، وهو أن اللام لام ابتداء، دخلت على مبتدأ محذوف للعلم به على تقدير: "لأنا أقسم بيوم القيامة"[٧].

الرأي الثالث: أن تكون اللام لام تأكيد دخلت على الفعل (أقسم)[٨] على تقدير: "أقسم بيوم القيامة"، ونظير ذلك قوله تعالى: (وإنَّ ربَّكَ لَيحكُمُ بينهم) (النحل/١٢٤)[٩] حيث دخلت اللام على الفعل المضارع "يحكم".

---

[١] ينظر: معاني القرآن واعرابه: ٢٥١/٥.

[٢] ينظر: اعراب القرآن: ٧٧/٥.

[٣] قراءة ابن كثير في رواية قنبل، ينظر: السبعة في القراءات: ٦٦١، والتبصرة في القراءات: ٣٦٥، والعنوان في القراءات السبع: ٢٠٠، وإرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى ٦١١.

[٤] الكشاف: ٦٦٠/٤.

[٥] ينظر: معاني القرآن: الفرّاء: ٢٠٧/٣.

[٦] ينظر: جامع البيان: ١٧٢/٢٩.

[٧] ينظر: المحتسب: ٣٤١/٢.

[٨] ينظر: الحجة/ابن خالويه: ٣٢٩، وحجة أبي زرعة: ٧٣٥.

[٩] ينظر: التبيان في اعراب القرآن: ١٢٥٣/٢.

والذي يبدو لي أنّ كلتا القراءتين صحيحه من الوجهة الاعرابية والمعنى، إذ إنَّ القسم هاهنا يجوز أن يكون مراداً به التنبيه على دلالة المقسم به ولكونه آية تدل على عظمته تعالى وتفرده بالعظمة[1].

"اللام"

[1] ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ٩٢.

جاءت قراءة كانت فيها(اللام)مكسورة تارة وساكنة تارة أخرى وذلك في قوله تعالى: **(لِيَكفُرُوا بِما اتيناهُم ولِيتَمتَّعُوا فَسَوف يعلمون)** (العنكبوت/٦٦)

وردت قراءتان ذكرهما صاحب الكشاف في قوله تعالى: (وليتمتَّعوا):

١-كسر اللام بمعنى "كي"

٢-سكون اللام على وجه التهديد والوعيد.

وقد وجههما بما يناسبهما من التوجيه النحوي، وذلك على النحو الآتي:

الوجه الأول: كسر اللام بمعنى (كي)، إذ قال:

"اللام في (ليكفروا) محتملة أن تكون لام كي، وكذلك في (وليتمتعوا)[١] فيمن قرأها بالكسر. والمعنى: أنهم يعودون إلى شركهم؛ ليكونوا بالعود الى شركهم-كافرين بنعمة النجاة، قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة: إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في انجائهم، ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطّاعة، لا إلى التمتع والتلذذ"[٢].

اللام في قوله تعالى: (لِيكْفُروا) و(لِيتَمتَّعوا) تكون لام بمعنى "كي"[٣]، على تقدير: "لكي يكفروا ولكي يتمتعوا"[٤].

وهو ما ذهب إليه الفراء، إذ قال: " (ولِيتَمتَّعوا) مكسورة على جهة كي"[٥].

وقال الطبري: " (ولِيتمتَّعوا) بكسر اللام، بمعنى: "وكي يتمتعوا آتيناهم ذلك"[٦].

وأيدهما كل من الزجاج الذي اختار الكسر في اللام، إذ قال: "قوله عز وجل: (ولِيتمتَّعوا) قرئ بكسر اللام وتسكينها، والكسر أجود على "لكي يكفروا" و "كي

---

[١] قراءة ابن عامر وأبي عمرو وعاصم ونافع في رواية ورش، ينظر: السبعة في القراءات: ٥٠٢، والتبصرة في القراءات: ٢٩١، والنشر في القراءات العشر: ٣٤٤/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٣٤٦، والبدور الزاهرة: ٢٤٦.

[٢] الكشاف: ٤٦٨/٣.

[٣] ينظر: حجة ابن خالويه: ٢٥٦، وكتاب اللامات: ١٢٤، والكشف: ١٨١/٢.

[٤] ينظر: حجة أبي زرعه: ٥٥٥.

[٥] معاني القرآن، الفراء: ٣١٩/٢.

[٦] جامع البيان: ١٣/٢١.

يتمتعوا"[١]. والنحاس[٢]، وابن خالويه، بقوله: "ولمن كسر وجهان: أحدهما: أن تكون لام الوعيد أجراها على أصلها، فكسرها مع الواو، والآخر: أن تكون لام كي مردودة بالواو على قوله تعالى: (ليكفروا بما آتيناهم) فيكون الفعل بها منصوباً، وبالأولى مجزوماً"[٣].

وعلى هذا تكون "اللام" هنا بمعنى "كي" بجعلها حرفاً ناصباً لما بعدها، فينصب الفعل "يتمتعوا" بحذف النون، ويكون معطوفاً على الفعل قبله وهو "يكفروا"[٤].

وعند الشوكاني (ليكفروا)، و(ليتمتعوا) في الفعلين لام كي، على قراءة أبي عمرو وابن عامر وعاصم[٥].

والمعروف أن لام كي تتصل بالافعال، وينتصب الفعل بعدها عند البصريين بإضمار أن، وعند الكوفيين اللام نفسها ناصبة للفعل[٦]، وهي في كلا المذهبين تتضمن معنى كي[٧].

الوجه الثاني: سكون اللام على وجه التهديد والوعيد، ذكره الزمخشري بقوله: "أن تكون لام الأمر وقراءة من قرأ ولْيتمتعوا بالسكون[٨] تشهد له. ونحوه قوله تعالى: (اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير) (فصلت:٤١). فأن قلت: كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ماشاؤوا، وهو ناهٍ عن ذلك ومتوعد عليه؟ قلت: هو مجاز عن الخذلان والتخلية، وأن ذلك الأمر متسخط إلى غاية. ومثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر، وعندك أن ذلك الأمر خطأ، وأنه يؤدي إلى ضرر عظيم،

---

[١] معاني القرآن واعرابه: ٤/١٧٤.

[٢] ينظر:/ اعراب القرآن: ٣/٢٦٠.

[٣] حجة ابن خالويه:٢٥٦.

[٤] ينظر: التوجيه النحوي للقراءات في تفسير الطبري (رسالة ماجستير): ٨٩.

[٥] ينظر: فتح القدير: ٤/٢١٢.

[٦] ينظر: الانصاف: مسألة: ٧٩.

[٧] ينظر: اللامات للزجاجي: ٥٣.

[٨] قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي ونافع في رواية قالون وخلف، ينظر: السبعة في القراءات: ٥٠٢، والتبصرة في القراءات: ٢٩١، والعنوان في القراءات السبع: ١٥٠، واتحاف فضلاء البشر: ٣٤٦، والبدور الزاهرة: ٢٤٦.

فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه، فإذا لم ترَ منه إلا الإباء والتصميم، حردت[١] عليه وقلت له: أنت وشأنك وافعل ماشئت، فلا تريد بهذا حقيقة الأمر. وكيف والأمر بالشيء مريد له، وأنت شديد الكراهة متحسر، ولكنك كأنك تقول له: فإذ قد أبيت قبول النصيحة، فأنت أهل ليقال لك: أفعل ما شئت وتبعث عليه؛ ليتبين لك–إذا فعلت–صحة رأي الناصح وفساد رأيك"[٢].

اللام في قوله تعالى: (ولْيَتمتَّعوا) جاءت ساكنة بوصفها لام الوعيد في لفظ الأمر[٣]، في معنى: الوعيد والتهديد؛ لأنّ الله "سبحانه وتعالى" لا يأمرهم بالاصرار على المعاصي والكفر[٤].

وممن ذهب إلى هذا الوجه الفراء بقوله: " قرأها عاصم والأعمش على جهة الأمر والتوبيخ بجزم اللام "[٥].

وقال أبو زرعة: " (ولْيتمتَّعوا) بإسكان اللام، جعلوها لام الأمر في معنى الوعيد والتهديد، وهو كقوله: (اعملوا ما شئتم) (فصلت/٤٠) على الوعيد "[٦].

وذهب الطبري المذهب نفسه مرجحاً قراءة من قرأ بسكون اللام مستدلاً بقراءة أُبيّ بن كعب، معللاً اختياره، قائلاً: " وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد، وذلك أن الذين قرؤوه بكسر اللام زعموا انهم إنما اختاروا كسرها عطفاً بها على اللام التي في قوله: (ولِتَمتَّعوا) أن يكون: وكي يتمتعوا، إذا كان عطفاً على قوله: (لِيَكفُروا) عندهم، وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب وذلك لأن لام قوله: (لِيَكفُرُوا) صلحت أن تكون بمعنى "كي"؛ لأنها شرط لقوله: إذا هم يشركون بالله كي يكفروا بما آتيناهم من النعم، وليس ذلك كذلك في قوله: (ولْيَتَمَتَّعوا)؛ لأن اشراكهم بالله كان كفراً بنعمته، وليس اشراكهم به تمتعاً بالدنيا، وان كان الاشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها، فإذا كان ذلك كذلك فتوجيهه إلى

---

[١] حردت عليه: غضبت، والحرد أيضاً: المنع، ينظر: هامش الكشاف: ٤٦٨/٣، ومختار الصحاح: مادة (ح ر د).

[٢] الكشاف: ٤٦٨،٤٦٩/٣.

[٣] ينظر: جامع البيان: ١٣/٢١، وحجة ابن خالوية: ٢٥٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/١٣.

[٤] ينظر: حجة أبي زرعة: ٥٥٥.

[٥] معاني القرآن، للفراء: ٣١٩/٢.

[٦] حجة أبي زرعة: ٥٥٥.

معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه إلى معنى: وكي يتمتعوا، وبعد فقد ذُكر أن ذلك في قراءة أُبيّ: (وتمتعوا) وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام بمعنى الوعيد"[1].

وكان النحاس قد تابع من سبقه، بقوله: "من قرأ: (وَلْيَتَمَتَّعُوا) باسكان اللام لم يجعلها لام كي؛ لأن لام كي لا يجوز اسكانها"[2].

وعند الشوكاني[3] على هذه القراءة هي لام الأمر، ولم يقطع بترجيح وجه من وجوه القراءة، وإن كان ابتداؤه بتوجيه كونهما لامي كي التعليلية أو انهما لاما الأمر.

وبهذا يتضح توجيه القراءتين، والذي يبدو لي–والله أعلم–ان كلتيهما راجحتان بناءً على ما تم تقديمه من مسوغٍ بين يدي تلكما القراءتين.

"إمَّا"

[1] جامع البيان: ١٣/٢١.

[2] إعراب القرآن: ٢٦٠/٣.

[3] ينظر: فتح القدير: ٢١٢/٤.

قال تعالى: **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وإِمَّا كَفُوراً)** (الإنسان/٣)

وقد ذكر الزمخشري وجهين من القراءة في قوله تعالى: (إمّا شاكراً وإمّا كفوراً) هما:

١-إمّا (بكسر الهمزة)

٢-أَمّا (بفتح الهمزة)

ثم وجّه كلا الأمرين، وذلك على النحو الآتي:

الوجه الأوّل: (إمّا) بكسر الهمزة، إذ قال:

"شاكراً وكفوراً: حالان من الهاء في هديناه، أي: مكنّاه وأقدرناه في حالتيه جميعاً. أو دعوناه إلى الاسلام بأدلة العقل "السمع" كان معلوماً منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجة، ويجوز أن يكونا حالين من السبيل، أي: عرّفناه السبيل إمّا[١] سبيلاً شاكراً وإمّا سبيلاً كفوراً كقوله: (وهديناه النجدين) (البلد/١٠) ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز"[٢].

قوله تعالى: (إمّا شاكراً وإمّا كفوراً) منصوبان على الحال[٣] وفيها وجهان[٤]:

أحدهما: أنه حال من مفعول (هديناه)[٥]، أي: هدْيناهُ يناله في كلتا حالتيه[٦]، وإمّا للتفضيل، أو التقسيم، أيْ: مقسوماً إليهما بعضهم شاكراً بالاهتداء والأخذ فيه، وبعضهم كفور بالإعراض عنه[٧]. وحكى النحاس انها حالة مقدرة[٨].

وقال السمين الحلبيّ؛ "لأنه حمل الهداية على أول البيان له، وفي ذلك الوقت غير متصف بإحدى الصفتين"[١].

---

[١] قراءة الجمهور، ينظر: البحر المحيط: ٣٩٤/٨، والدر المصون: ٤٣٨/٦.

[٢] الكشاف: ٦٦٧/٤.

[٣] ينظر: إعراب القرآن: ٥٧٢/٣.

[٤] ينظر: الدّر المصون: ٤٣٨/٦.

[٥] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٢٧/٣، والدّر المصون: ٤٣٨/٦.

[٦] ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن: ٢٧٥/٢، وروح المعاني: ٢٦٣/١٦.

[٧] ينظر: المحرر الوجيز: ٢٦٣/١٥، وأنوار التنزيل وإسرار التأويل: ١٦٤/٥، وجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٣٧١/٤.

[٨] ينظر: إعراب القرآن: ٥٧٢/٣.

[١] الدّر المصون: ٤٣٨/٦.

والثاني: حال من (السبيل)، أي: عرفناه السبيل (إمّا) سبيلاً (شاكراً) و (إمّا) سبيلاً (كفوراً)[٢]، ووصف السبيل بالشكر والكفر مجازاً[٣].

وأجاز الفراء[٤] ان تكون (ما) هاهنا زائدة، وتكون (ان) للشرط والمجازاة على أن يكون المعنى: انا هديناه السبيل إن شكر أو كفر.

وذهب النحاس إلى أنّ ما ذهب إليه الفراء خطأ في ظاهره، إذ قال: "لأن (أن) التي للشرط لا تقع على الاسماء وليس في الآية إمّا شُكر، وانما فيها شاكراً وإمّا كفوراً، فهذان اسمان، ولا يجازى بالاسماء عند أحدٍ من النحويين"[٥].

وما ذهب إليه النحاس يُعد مذهب البصريين، إذ قال مكي القيسي: "إنها هنا "إن" الشرطية زيدت بعدها "ما" وهذا لا يجيزه البصريون؛ لأن "إن" الشرطية لا تدخل على الاسماء إلاّ أن يضمر بعدها فعل نحو قوله تعالى: (وَإِن أَحدٌ) (التوبة/٦) ولا يصح إضمار الفعل هنا؛ لأنه كان يلزم رفع (شاكراً) مع إضمار الفعل"[٦].

وأجاز السمين الحلبيّ[٧] إضمار فعل ينصب (شاكراً) تقديره: "إن خلقناه شاكراً فشكوراً، وأن خلقناه كافراً فكفوراً.

وذهب محمّد جمال الدّين القاسمّي[٨] (ت ١٣٣٢هـ) إلى أنّ (شاكراً) و(كفوراً) منصوبتان بـ"يكون" مقدرة، أي: ليكون إمّا شاكراً وإمّا كفوراً، أيْ؛ لينماز شكره من كفره وطاعته من معصيته، كقوله تعالى: (ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً) (الملك/٢).

الوجه الثاني: (أمّا) بفتح الهمزة، إذ قال:

"وقرأ أبو السَّمّال[١] بفتح الهمزة في (أمّا)[٢] وهي قراءة حسنة والمعنى: أمّا شاكراً فبتوفيقنا، وأمّا كفوراً فبسوء اختياره"[٣].

---

[٢] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٢٧/٣، والدّر المصون: ٤٣٨/٦.

[٣] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦٢٧/٣، والدّر المصون: ٤٣٨/٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٦٤/٥.

[٤] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣١٤/٣.

[٥] إعراب القرآن: ٥٧٢/٣.

[٦] الدّر المصون: ٤٣٨/٦، وللمزيد ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨٠/١٩، والتحرير والتنوير: ٣٧٦/٢٩.

[٧] ينظر: الدّر المصون: ٤٣٨/٦.

[٨] ينظر: محاسن التأويل: ٧٦/١٠.

[١] لم اقف على ترجمته

قرأ أبو السَّمّال وأبو العاج[٤] قوله تعالى: (امّا شاكراً وامّا كفوراً) بفتح همزة (امّا)، وفيها وجهان:

أحدهما: انها لغة حكاها أبو زيد عن بعض العرب، وهي فتح همزة (امّا)، وعندهم من حروف العطف[٥]. وانشدوا على ذلك:

يلقحها أَمّا شمال عرية وأَمّا صبا جنح العشي هبوب[٦]

الثاني: إنها (امّا) التفصيلية المتضمنة معنى الشرط[٧]، وجوابها مقدّر[٨]، ولذلك تلقاها بفاء الجواب فصار كقول العرب: امّا صديقاً فصديق[٩].

والذي يتبين–والله أعلم– أنّ القراءتين صائبتان إلاّ أنّ الذي يترجح–والله أعلم– قراءة كسر الهمزة (إمّا)؛ لأن عليها القرّاء، ثم أن فتح همزة (امّا) لم يحكها سوى أبي زيد فيما رواه عنه صاحب البحر المحيط.

واستحسان الزمخشري قراءة أبي السَّمّال، أيْ: فتح همزة (امّا) يتكفل بالرد عليه ابن المنير الاسكندري، إذ قال: "واستحسانه لقراءة أبي السَّمّال؛ لتخيله أنّ في التقسيم إشعاراً بغرضه الفاسد، وليس كذلك؛ فأنّ التقسيم يحتمل الجزاء إمّا شاكراً فمثاب، وإمّا كفوراً فمعاقب، ويرشد إليه ذكر جزاء الفريقين بعد قوله تعالى: (سلاسلا واغلالا) (الانسان/٤) "[١]

---

[٢] قراءة أبو السّمال وكثير بن عبد الله السلمي، ينظر: الكشاف: ٦٦٧/٤، والتفسير الكبير: ٢٣٩/٣٠، والبحر المحيط: ٣٩٤/٨.

[٣] الكشاف: ٦٦٧/٤.

[٤] أبو العاج: هو كثير بن عبد الله السلمي، شامي، ولى البصرة لهشام بن عبد الملك، ينظر: المحرر الوجيز: ٢٦٣/١٥، والبحر المحيط: ٣٩٤/٨.

[٥] ينظر: البحر المحيط: ٣٩٤/٨، والدّر المصون: ٤٩٣/٦، وروح المعاني: ٢٦٣/١٦.

[٦] البيت لأبي القبقام، ينظر: الهمع: ١٣٥/٢، والبحر المحيط: ٢٩٤/٨، وروح المعاني: ٢٦٣/١٦.

[٧] ينظر: البحر المحيط: ٣٩٤/٨.

[٨] ينظر: الدّر المصون: ٤٣٩/٦.

[٩] ينظر: البحر المحيط: ٣٩٤/٨.

[١] الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، هامش على الكشاف: ٦٦٧/٤.

"مَا"

قال تعالى: **(فَلَمّا أَلقوا قَالَ مُوسى مَاجِئتُم بِهِ السِّحرُ إنَّ اللهَ سَيُبطِلُهُ إنَّ اللهَ لا يُصلِحُ عملَ المفسِدينَ)** (يونس/٨١).

وقد ذكر الزمخشري وجهين من القراءة في قوله تعالى: (السِّحر) هما:

١-(ءالسِّحر) بهمزة قطع واستفهام

٢-(السِّحر) بهمزة وصل على الخبر

الوجه الأوّل: (ءالسِّحر) بهمزة قطع واستفهام، إذ قال:

"قرئ: (آلسّحر)[١] على الاستفهام، فعلى هذه القراءة (ما) استفهامية، أيْ، أيّ شيء جئتم به، أهو السّحر؟ "[٢].

فمن قرا بالمدّ والهمزة جعل (ما) استفهامية[٣]، وفي موضعها وجهان:

الأوّل: أن تكون (ما) في موضع رفع مبتدأ، و(جئتم به) الخبر، والتقدير: أيّ شيء جئتم به؟ والسّحر خبر لمبتدأ محذوف، تقديرة: هو السّحر[٤].

والثاني: أن تكون (ما) في موضع نصب بفعل مضمر بعد (ما) تقديرة: أيّ شيء أتيتم به، أو جئتم به؟ و(السّحر) خبر لمبتدأ محذوف، أيْ: هو السحر[٥].

الوجه الثاني: (السَّحر) بهمزة وصل على الخبر، إذ قال:

" (مَا جئتم بِهِ) ما موصولة واقعة مبتدأ، و(السِّحرُ)[٦] خبر، أي: الذي جئتم به هو السَّحر لا الذي سمّاه فِرعون وقومه سحراً من آيات الله...وقرأ عبد الله: ما جئتم به سحر. وقرأ أبيّ: ما أتيتم به سحر"[٧].

ومن قرأ بهمزة الوصل من غير مدّ، أي: بغير استفهام[٨]:

جعل (ما) اسماً موصولاً في موضع الذي[٩]، فهي مبتدأ، و(جئتم به) جملة الصلة لا محل لها من الإعراب، والضمير في (به) عائدها، و (السِّحر) خبرها، والتقدير: الذي جئتم به السِّحر[١].

---

[١] قراءة أبي عمرو وأبي جعفر، ينظر: التبصرة في القراءات: ٢٢٠، والتيسير: ١٠٠، والنشر: ٢٨٦/٢، واتحاف فضلاء البشر: ٢٥٢.

[٢] الكشاف: ٣٤٥/٢.

[٣] ينظر: معاني القرآن، للأخفش: ٣٤٧/٢، والبحر المحيط: ١٨٢،١٨٣/٥.

[٤] ينظر: معاني القرآن، للفراء:٤٧٥/١،وإعراب القرآن: ٢٦٣/٢، ومشكل إعراب القرآن: ٣٥١/١.

[٥] ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٣٥١/١، والبيان في غريب إعراب القرآن: ٤١٨/١-٤١٩.

[٦] قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، ينظر: التبصرة في القراءات:٢٢٠، والنشر: ٢٨٦/٢، واتحاف فضلاء البشر:٢٥٢، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ١٥٠.

[٧] الكشاف: ٣٤٥/٢.

[٨] ينظر: حجة/أبي زرعة:٣٣٥.

[٩] ينظر: معاني القرآن، للفراء:٤٧٥/١.

قال مكي بن أبي طالب: "ويقوَّي هذا أنّ في حرف أُبيّ: (مَا جئْتُم بِهِ سِحرٌ) وهو الاختيار لأن الجماعة عليه"[٢].

ولا يجوز أن تكون (مَا) في موضع نصب، إذا كانت موصولة؛ لأن بعدها صلتها، والصلة لا تعمل في الاسم الموصول، ولا تكون تفسيراً للعامل الذي تعمل فيه[٣].

وقال الطبريّ: "وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ على وجه الخبر لا على الاستفهام؛ لأن موسى–صلوات الله وسلامة عليه–لم يكن شاكاً فيما جاءت به السَّحرة، أنه سحر لا حقيقة له، فيحتاج إلى استخبار السَّحرة عنه أي شيء هو..."[٤].

ويبدو–والله أعلم– أنّ القراءتين بمعنى واحد، يدل على هذا ما ذهب إليه ابن المنير الاسكندري، إذ قال: "والذي يحقق لك أن الاستفهام والاخبار في مثل هذا المعنى مؤداهما واحد: أن الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام: (مَا جئتم بِهِ السِّحر) على الوجهين: الخبر والاستفهام، على ما اقتضته القراءتان، وهو قَول واحد دلّ على أن مؤدى الأمرين واحد ضرورة صدق الخبر"[٥]

"لما"

جاءت عدة قراءات فيها "لما" مشددة تارة وغير مشددة تارة أخرى، ومن ذلك ما جاء بشأن قوله تعالى: (إِن كُلُّ نَفسٍ لَّمَّا عَلَيَها حَافظٌ) (الطارق/٤)

وقد ذكر الزمخشري وجهين من القراءة في قوله تعالى: (لما) هما:

١–تشديد ميم (لما) بمعنى (إلا)

٢–تخفيف ميم (لما)

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي لكلتا القراءتين، على النحو الآتي:

---

[١] ينظر المصدر نفسه: ٤٧٥/١، والجامع لأحكام القرآن: ٢٣٥/٨، والبحر المحيط: ١٨٣/٥.

[٢] الكشف: ٥٥١/١.

[٣] ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٣٥١/١، والبيان في غريب القرآن: ٤١٩/١.

[٤] جامع البيان: ٥٩٠/٦.

[٥] الانتصاف: ٣٤٥/٢.

الوجه الأوّل: تشديد ميم (لما) بمعنى (إلا)، إذ قال:

" فإن قلت: ما جواب القسم؟ قلت: (إن كل نفسٍ لَّمَّا عليها حافظٌ)؛ لأن "إن" لا تخلو فيمن قرأ (لما) مشددة[١]، بمعنى: إلا أن تكون نافية"[٢].

من قرأ بتشديد (لمّا) في قوله تعالى: (إنْ كُلُّ نفسٍ لَمَّا عليها حافظ) فـ (إنْ) نافية بمعنى :ما[٣]، و (لما) بمعنى: إلا[٤].

وإلى هذا ذهب أبو زرعة[٥] فقد ذكر أنّ التشديد في (لمّا) يعني: ما كلُّ نفسٍ إلاّ عليها حافظ، فـ(إنْ) بمعنى: (ما)، و(لمّا) بمعنى: (إلاّ)، والعرب تقول: نشدتك لمّا فعلت، والمعنى: إلا فعلت.

وقال البغوي: "قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة (لمّا) بالتشديد يعنون: ما كلُّ نفسٍ إلاّ عليها حافظ، وهي لغة هذيل يجعلون (لما) بمنزلة إلاّ، يقولون: نشدتك الله لمّا قمت، أيْ: إلا قمت"[٦].

وإلى هذا ذهب كثير من النحاة والمفسرين أذكر منهم: العكبري[٧]، والقرطبي[٨]، والنسفي[٩]، وابا حيان[١٠]، والدمياطيّ[١١]، والجمل[١٢]، والشوكاني[١٣].

---

[١] قراءة ابن عامر وحمزة وأبو جعفر: ينظر: السبعة: ٦٧٨، وإتحاف فضلاء البشر: ٤٣٦، والبدور الزاهرة: ٣٤٠.

[٢] الكشاف: ٤/٧٣٥.

[٣] ينظر: حجة أبي زرعة: ٧٥٨.

[٤] ينظر: روح المعاني: ٣٠/٩٦.

[٥] ينظر: حجة أبي زرعة: ٧٥٨.

[٦] معالم التنزيل في التفسير: ٧/١٩٤.

[٧] ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ٢/٢٨٥.

[٨] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢/٤.

[٩] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٤/٣٤٧.

[١٠] ينظر: البحر المحيط: ٨/٤٥٤.

[١١] ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٤٣٦،٤٣٧.

[١٢] ينظر: الفتوحات الآلهية: ٤/٥١٧.

[١٣] ينظر: فتح القدير: ٥/٤١٩.

ومن المحدثين الدكتور فاضل السامرائي[١]

وتناول الآلوسي قراءة التشديد في (لمّا) بشيء من الافاضة، إذ قال: " (إنْ كل) و(حافظ) وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها، وقيل جوابه قوله سبحانه: (إنَّهُ على رَجعِهِ لَقادرٌ) (الطارق/٨)، وما في البين اعتراض وهو كما ترى. و(إن) نافية، و(لمّا) بمعنى (إلاّ) ومجيؤها كذلك لغة مشهورة كما نقل ابو حيان عن الأخفش في هذيل وغيرهم، يقولون: اقسمت عليك أو سألتك لمّا فعلت كذا يريدون إلاّ فعلت، و(كل) مبتدأ والخبر على المشهور (حافظ) و(عليها) متعلق به"[٢].

وحكى الآلوسي عن الرضي[٣]. أنه الخبر محذوف أيْ: ما كل نفسٍ كائنة في حال من الأحوال إلاّ في حال أن يكون عليها حافظ.

وقال الرازي[٤]: انه روى عن الأخفش والكسائي وأبي عبيدة أنهم قالوا: لم توجد (لمَّا) بمعنى: إلاّ في كلام العرب. وأردف قائلاً: " قال أبن عون*: قرأت عند ابن سيرين (لمّا) بالتشديد فأنكره، وقال: سبحانه الله، سبحان الله"[٥].

الوجه الثاني: تخفيف ميم (لما)، إذ قال:

" وفيمن قرأها مخففة[٦] على ان "ما" صلة تكون مخففة من الثقيلة"[٧].

هنالك مذهبان في قراءة التخفيف احدهما: وهو مذهب البصريين الذين يرون: أَنَّ من قرأ بتخفيف (لما) فـ(إنْ) مخففة من الثقيلة، و (كل) مبتدأ و(ما) زائدة و(اللام)

---

[١] ينظر: معاني النحو: ٥٧٧/٤.

[٢] روح المعاني: ٩٦/٣٠.

[٣] المصدر نفسه :٩٦/٣٠.

[٤] ينظر: التفسير الكبير: ١٢٨/٣١.

*لم أقف على ترجمته.

[٥] المصدر نفسه: ١٢٨/٣١.

[٦] قراءة أبن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي، ينظر: السبعة: ٦٧٨، حجة أبي زرعة: ٧٥٨، والبدور الزاهرة: ٣٤٠.

[٧] الكشاف: ٧٣٥/٤.

هي الداخلة للفرق بين (إنْ) النافية و(إن) المخففة و(حافظ) خبر المبتدأ، و(عليها) متعلق به[١].

وقال العكبري: "وبالتخفيف (ما) فيه زائدة، و(إنْ) هي المخففة من الثقيلة، أيْ: إنْ كل نفس لعليها حافظ، و(حافظ) مبتدأ، و (عليها) الخبر"[٢].

وتبعه كل من القرطبي[٣]، والنسفي[٤]، وأبي حيان[٥]، والجمل[٦].

وذهب أبو علي الفارسي إلى أن (ما) صلة، إذ قال: "من خفف كانت (أنْ) عنده المخففة من الثقيلة، واللام في (لما) هي التي تدخل مع هذه المخففة؛ لتخلصها من (أن) النافية و(ما) صلة كالتي في قوله: (فَبِما رَحمةٍ مَنَ اللهِ) (آل عمران/١٥٩)، و (عَمَّا قَليل) (المؤمنين/٤٠)[٧].

والآخر: مذهب الكوفيين الذين يرون:

أنّ من قرأ بتخفيف (لما) فـ(إنْ) نافية، و (كل وحافظ) مبتدأ وخبر، و (ما) زائدة و (اللام) بمعنى: (إلاّ)[٨].

قال أبو زكريا الفراء[٩]: إن وجه قراءة (لما) بالتخفيف على انها لام جواب لـ(إنْ) و (ما) التي بعدها صلة كقوله: (فَبِمَا نَقْضِهم مِيثاقهم) (النساء/١٥٥)، فلا يكون في (ما) وهي صلة تشديد.

---

[١] ينظر: روح المعاني: ٩٦/٣٠.

[٢] إملاء ما من به الرحمن: ٢٨٥/٢.

[٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/٢٠.

[٤] ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٤٧/٤.

[٥] ينظر: البحر المحيط: ٤٥٤/٨، والنهر الماد: ٤٥٣/٨.

[٦] ينظر: الفتوحات الالهية: ٥١٧/٤.

[٧] مجمع البيان لعلوم القرآن: ٣٦٤/١٠، والتفسير الكبير: ١٢٨/٣١.

[٨] ينظر: النهر الماد: ٤٥٣/٨.

[٩] ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٢٥٤/٣-٢٥٥.

ومصطلح الصلة تردّد في معاني القرآن للفراء، يقابله عند البصريين حروف الزيادة[١]. وقد علّل ابن الحاجب تسميتها بحروف الصلة بأنها يتوصل بها إلى زنة، أو إعراب لم يكن عند حذفها[٢].

يقول الفراء في توجيه قراءة: (ألاَّ يطّوف) في قوله تعالى: (إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجّ البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوف بهما) (البقرة/١٥٨): " وقد قرأها بعضهم (ألاّ يطّوف)، وهذا يكون على وجهين أحدهما أن تجعل (لا) مع (أن) صلة على معنى الإلغاء"[٣].

أمّا في قوله تعالى: (إنْ كلُّ نفسٍ لما عليها حافظ) (الطارق/٤) فيريد بالصلة الاسم الموصول.

وتناول الطبري قراءة التخفيف في (لما) مؤيداً للفراء فيما ذهب إليه، إذ قال: "ولما بالتخفيف بمعنى: إنْ كل نفسٍ لعليها حافظ، وعلى ان اللام جواب (إنْ) و (ما) التي بعدها صلة، وإذا كان ذلك كذلك لم يكن فيه تشديد"[٤].

والجدير بالذكر أنّ الطبري اختار القراءة بالتخفيف في "لما" معللاً اختياره، إذ قال: :" والقراءة التي لا اختار غيرها في ذلك: التخفيف؛ لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، وقد انكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب أن يكون معروفاً من كلام العرب"[٥].

واظنه يقصد بالذين انكروا التشديد وهم أهل معرفة بكلام العرب، الكسائي القائل: "لا أعرف وجه التثقيل في (لما)"[٦].

والذي يتبين –والله اعلم– أنّ القراءتين صحيحتان وصائبتان، ولا يمكن ردّ أي واحدة منهما، وما روي عن الكسائي انه لا يعرف وجه التثقيل في "لما"[٧] لا يوهن أو

---

[١] ينظر: شرح المفصل: ١٢٨/٨.

[٢] ينظر: الأشباه والنظائر: ١/ ٢٠٤.

[٣] معاني القرآن، للفراء: ٩٥/١، وينظر أيضاً : ٣٥٠/١، و١٣٧/٣ و١٤٧/٣.

[٤] جامع البيان: ٩١/١٢.

[٥] جامع البيان: ٩١/١٢.

[٦] مجمع البيان لعلوم القرآن: ٣٦٤/١٠.

[٧] مجمع البيان لعلوم القرآن: ٣٦٤/١٠.

يسقط القراءة بتشديد "لمّا". فهي لغة في هذيل. ورد في تهذيب اللغة[١] واللسان[٢] انها لغة هذيل، يجعلون "لما" بمعنى : "إلاّ". ونقل أبو حيان عن الأخفش انها لغة هذيل بمعنى : "إلاّ"[٣]، فلا مجال لإنكار ما أثبته هؤلاء العلماء الثقات.

وقد جوز أبو القاسم الزجاجّي[٤] ان تقول: لم يأتني من القوم لما أخوك. ولم أر من القوم لما زيداً. تريد: إلاّ أخوك وإلاّ زيداً.

[١] ينظر: تهذيب اللغة: ١٥/٣٤٥.

[٢] ينظر: اللسان: ١٢/٥٥٢.

[٣] ينظر: البحر المحيط: ٨/٤٥٤.

[٤] ينظر: الجنى الداني: ٥٣٨.

الخاتمة

الحمد لله منزل الكتاب فيه خير الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين والتابعين بإحسان إلى يومِ الدَّين.

هذا ما استطعت بتوفيق الله وهداه أنّ انجزه من هذا البحث المتواضع فبعد التتبع لتوجيهات الزمخشري النحوية للقراءات القرآنية في تفسيره الموسوم بـ"**الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوهِ التّأويل**"

خرج البحث بنتائج نجمل أهمها فيما يأتي:

١-إنّ البحث في القراءات وما يتعلق بها لم ينقطع في عصر من العصور، وانه مستمر-ولله الحمد- إلى زماننا هذا. وكتابَيّ "البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقيّ الشّاطبيّة والدّوري" و "القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب" للشيخ عبد الفتاح القاضي خير دليل.

٢-يعد تفسير الزمخشري "الكشاف" ثروة من أغنى الثروات اللغوية، فهو بحق موسوعة علمية لا غنى عنها، لما حواه من مادة لغوية ونحوية تضمنت آراء الزمخشري وغيره من علماء العربية. فضلاً عن كونه تفسيراً.

٣-حوى "الكشاف" الكثير من القراءات القرآنية المشهورة وغير المشهورة، وتعددت مصادره التي استقي منها مادته، وطريقة نقله منها، مما جعله مصدراً من مصادر القراءات القرآنية.

٤-إنّ موقف الزمخشري من الاستشهاد بالقراءات لا يختلف عن موقف مَن سبقه من نحاة البصرة، فهو يردّ بعض القراءات ويضعّف ويلحن ما خالف اقيسة النحاة البصريين.

٥-لم يلتزم الزمخشري مذهباً نحوياً وإن كان يعدُّ من البصريين، فهو يذهب في جلّ نظره النحوي إلى حيث يستقيم المعنى.

٦-حوى "الكشاف" توجيهات نحوية لكثير من القراءات القرآنية وبالشكل الذي ينسجم وقواعد النحو، في الوقت نفسه لم يوجَّه الكثير من القراءات القرآنية. وتارة يذكر قراءتين فيوجه إحداهما ويترك توجيه الأخرى.

٧-اعتمد الزمخشري في توجيهاته النحوية على شواهد متنوعة على رأسها القرآن الكريم وقراءاته، ثم اللهجات، وأقوال العرب شعراً ونثراً وأمثالاً.

٨-كان لمذهبه الاعتزالي أثر كبير في تفسير آيات الذكر الحكيم.

٩-من خصائص التوجيه النحوي البارزة عند الزمخشري إنه ينظر إلى العلاقة بين النحو والمعنى وتقليب الكلام على ما يحتمله من أوجه.

١٠-تأثر بالزمخشري ونقل عنه أو ضمَّن أقواله طائفة من آراء النحاة والمفسرين منهم: حافظ الدين عبد الله بن احمد النسفي (ت ٧٠١هـ)، وأبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، وأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ)، ومحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، وشهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) وغيرهم.

١١-عالج في توجيهاته النحوية للقراءات مواضع حذف المبتدأ والخبر، وما يتعلق بهما، وبرز إهتمامه بالضمائر وما يتصل بها، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والتنوين وتركه، وما قرأ بالحركات الثلاثة على مستوى الاسماء، واختلاف إعراب الفعل المضارع، والأداة وما لها من ربط في التركيب والمعنى.

١٢-ذهب الزمخشري في توجيهه للقراءة المشهورة في: (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) "طه: ٦٣" مذهب المحققين في اعتماده اللهجات العربية التي اتخذ منها دليلاً يؤكد له صحة الاستعمال اللغوي في توجيهه للقراءات.

١٤-يُعنى الزمخشري بإبراز جانب النحو والاعراب والبلاغة واللغة عند تناوله للكثير من الآيات القرآنية بالتفسير.

١٥-حين يعرض الآيات من الوجه الاعرابية لا ينساق وراء صناعته النحوية كالنحويين فيحيف على جانب المعنى، وإنّما يجعل همه المعنى، ينظر ما ذكر في سورة البقرة "آية: ٢٣"، وفي سورة يونس "آية: ٣٨"، وسورة هود "آية: ١٣" وغير ذلك.

١٦-كان الزمخشري ممن يراعي السياق وأسباب النزول ويتخذهما قرائن تسهم في توضيح المعنى وترجيح رأي نحوي على آخر.

١٧-إن القراءات القرآنية سُنّة متبعة، تُؤخذ عن طريق التلقي والرواية، وليست رأياً ودراية وفصاحة، فقد ذهب الزمخشري في توجيهه لقراءة النصب في قوله تعالى: (هنالك الولاية لله الحقّ) "الكهف: ٤٤" إلى أنها قراءة حسنة وفصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح النّاس وأنصحهم.

وختاماً أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني بقبول حسن، وأن يوفقني إلى ما فيه رضاه، وما أبرأ من العثرة والزلة، وما استغني عن التوجيه والإرشاد، فإن ابن آدم إلى الضعف والعجز والعجلة والشطط.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

-القرآن الكريم

– أ –

١-الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمَّد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي، مطبعة الرسالة-القاهرة، (د.ت).

٢-اتحاف فضلاء البشر في قراءات القرّاء الاربعة، للشيخ أحمد بن محمَّد الدمياطي-الشهير بالبناء (ت ١١٧هـ)، تصحيح: علي محمَّد الضّياع، دار الندوة، بيروت -لبنان (د.ت).

٣-الإتقان في علوم القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط/٣، دار التراث-القاهرة، ١٤٠٥هـ.

٤-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لشمس الدين المقدسي المعروف بالبشاري-طبعة ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٩م.

٥-ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان محمَّد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق الدكتور: مصطفى أحمد النماس، مكتبة الخانجي_القاهرة، (د.ت).

٦-إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى فيالقراءات العشر، لأبي العزّ محمّد بن الحسن ابن بندار القلانسي (ت ٥٢١هـ)، تحقيق الدكتور: عمر حمدان الكبيسي، ط/١، مكة المكرمة-جامعة أم القرى، ١٩٨٤م.

٧-أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة-بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨-الاشباه والنظائر في النحو، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط/١، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٩٨٤م.

٩-إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، دار الكتب المصرية، ١٩٤١م.

١٠-إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمَّد النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق الدكتور: زهير غازي زاهر، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٩م.
١١-أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية-دمشق ١٣٣٧هـ-١٩٥٨م.
١٢-الاقتراح في علم أصول النحو، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور احمد محمد قاسم، ط/١، مطبعة السعادة-القاهرة، ١٩٧٦م.
١٣-الاقناع في القراءات السبع، لأحمد بن علي بن الباذش (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق الدكتور: عبد المجيد قطامش، ١٤٠٣هـ.
١٤-الأمالي النحوية، لأبي عمر عثمان بن يعمرو المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق الدكتور: فخر صالح سليمان-بيروت ١٩٨٩م.
١٥-إملاء ما مَنّ به الرّحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن، لعبد الله بن الحسين أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٨٤هـ.
١٦-إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
١٧-الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال، لأحمد بن المنير الاسكندري (ت ٦٨٣هـ) مطبوع بهامش الكشاف-تحقيق: عبد الرزاق مهدي، ط/٢، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٨-الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-بيروت ١٩٨٧م.
١٩-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/لمحمد الأمين الشنقيطي، مطبعة المدني-السعودية، ١٩٨٠م.

٢٠-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله ين عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت ٧٩١هـ)، بيروت، (د.ت).
٢١-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبي محمّد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ)، ط/٦، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٢-إيضاح الوقف والابتداء، لأبي يكر محمَّد بن القاسم بن بشار الانباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١م.

-ب-

٢٣- البحر المحيط، لأبي حيان محمَّد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤هـ)، ط/٢، دار الفكر-بيروت ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
٢٤-البداية والنهاية، لأبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، ط/٢، مكتبة المعارف-بيروت ١٩٧٧م.
٢٥-البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدوري، لعبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ) ط/١، دار الكتب العربي-بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٦-البرهان في تجويد القرآن/ لمحمَّد الصادق قمحاوي، بدون (د.ت).
٢٧-البرهان في علوم القرآن/ لبدر الدّين محمَّد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
٢٨-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لأبي الفضل جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-بيروت (د.ت).
٢٩-البيان في غريب القرآن، لكمال الدين أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، دار الكتاب العربي-القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

-ت-

٣٠-تأويل مشكل القرآن/لعبد الله بن محمّد بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق:السيد احمد صقر، دار احياء الكتب العربية-مصر، (د.ت).
٣١-تاج العروس من جواهر القاموس/لمحمّد مرتضى الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ)، دار مكتبة الحياة.
٣٢-تاريخ القرآن، الدكتور: عبد الصبور شاهين-دار القلم-الكويت، ١٩٦٦م.
٣٣-التبصرة في القراءات/ لأبي محمّد مكي بن ابي طالب القيسي(ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط/١، منشورات معهد المخطوطات العربية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣٤-التبيان في اقسام القرآن/لشمس الدين بن ابي بكر بن قيّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: طه يوسف شاهين، دار الكاتب العربي-مصر-(د.ت).
٣٥-التبيان في تفسير القرآن/ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، المطبعة العلمية-النجف، ١٩٥٧م.
٣٦-التحرير والتنوير/لمحمَّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٣٧-تذكرة الحفاظ/لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار احياء التراث العربي، (د.ت).
٣٨-التعريفات، لعلي بن محمَّد بن علي المعروف بالسيد الشريف الجرجاني(ت ٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، (د.ت).
٣٩-تفسير القرآن العظيم/لأبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، مطبعة البابي الحلبيّ، مصر، (د.ت).
٤٠-تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ(تفسير المنار)، لمحمّد رشيد رضا (ت ١٩٣٥م)، خرّج آياته وأحاديثه وشرح غريبة: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمَّد علي البيضاوي، بيروت-لبنان، (د.ت).
٤١-التفسير القرآني للقرآن/لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي-مصر، (د.ت).
٤٢-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) فخر الدين أبو عبد الله محمّد بن عمر الرازي(ت ٦٠٦هـ)، ط/١، المطبعة البهية-مصر، ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٤٣-تقريب النشر في القراءات العشر/لشمس الدين أبي الخير محمَّد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: ابراهيم عطوه عوض، ط/١، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.
٤٤-تهذيب اللغة/لأبي منصور محمّد أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون القاهرة، ١٩٦٤م.
٤٥-التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، عني بتصحيحه اوتو برتزل، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

-ج-

٤٦-جامع البيان عن تاويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت ٣١٠هـ) - طبعة بيروت، دار الفكر ١٩٨٨م.
٤٧-الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد المصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ط/٢، احياء التراث العربي-بيروت، ١٩٦٥م.
٤٨-جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدّين علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، ط/١، مكتبة التراث-مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
٤٩-الجنى الداني في حروف المعاني/لحسين بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: طه محسن مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر-الموصل، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
٥٠-الجواهر الحسان في تفسير القرآن/ لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوق الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت-لبنان، (د.ت).

-ح-

٥١-حاشية الجمل، الفتوحات الإلهية/ لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ)، مطبعة مصطفى البابي، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
٥٢-حاشية الخضري على شرح ابن عقيل/للشيخ محمّد الخضري(ت ١٢٨٧هـ)، الطبعة الأخيرة. ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م.
٥٣-الحجة في القراءات السبع، للحسين بن احمد بن خالوية (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق الدكتور: عبد العال سالم مكرم، ط/٢، دار الشروق-بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٥٤-حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة (ت القرن الرابع الهجري)، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط/٥، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٥٥-الحجة للقراء السبعة أئمة الامصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي-مراجعة: عبد العزيز دباح وأحمد يوسف الدقاق-ط/١، دار المأمون للتراث-بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٤م.

- د -

٥٦-الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون/لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق الدكتور: أحمد محمَّد الخرّاط، طبعة دار القلم-دمشق، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٥٧-الدّر المنثور في التفسير بالمأثور/لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة-بيروت، (د.ت).
٥٨-دراسات لأسلوب القرآن الكريم/ لمحمَّد عبد الخالق عضيمة (ت ١٩٨٤م)، مطبعة السعادة-القاهرة، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
٥٩-الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، الدكتور: فاضل صالح السامرائي-دار النزير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م.
٦٠-الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري الدكتور: أحمد الجنابي، مكتبة دار التراث، ١٩٧٧م.
٦١-ديوان عبد الله الرُّقيات-تحقيق وشرح الدكتور: محمَّد يوسف مجم، دار صادر-بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،

- ر -

٦٢-روح البيان/لإسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)، دار الفكر-بيروت، (د.ت).
٦٣-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ):

-قرأه وصححه: محمَّد حسين العرب، دار الفكر-بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
-المطبعة المنيرية-مصر، (د.ت).
٦٤-زاد المسير في علم التفسير/ لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: زهير الشاويش-ط/٣، المكتب الاسلامي-دمشق، ١٤٠٤هـ.
٦٥-زاد المعاد في هدي خير العباد/لمحمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأدنؤوط، ط/٧، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٠٥هـ.
٦٦-الزمخشري/الدكتور: أحمد محمد الحوفي، ط/٢، مطبعة لجنة البيان العربي-١٩٦٦م.

-س-

٦٧-السبعة في القراءات/ لأبي بكر احمد موسى المعروف بابن مجاهد (ت٣٢٤ هـ)، تحقيق الدكتور: شوقي ضيف، ط/٢، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٦٨-السراج المنير/الخطيب الشربيني، دار المعارف-بيروت، (د.ت).
٦٩-سنن ابن ماجة/ لمحمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٣٧٥هـ) تحقيق: ومحمد فؤاد عبد الباقي، البابي الحلبي، ١٩٥٢م.
٧٠-سنن النسائي/لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، المطبعة المصرية-الأزهر، (د.ت).

-ش-

٧١- شرح ابن عقيل/ لبهاء الدّين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة-مصر، (د.ت).
٧٢-شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) لأبي الحسن علي نور الدين بن محمد الاشموني (ت ٩٢٩هـ)، نشر: دار احياء الكتب العربية-البابي الحلبي، (د.ت).

٧٣-شرح التصريح على التوضيح/ لخالد عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥هـ) دار احياء الكتب العلمية (د.ت).

٧٤-شرح شواهد المعنى/لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) صححه: محمد محمود الشنقيطي، المطبعة البهية، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

٧٥-شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأحمد بن محمد الجزري (ت ٨٥٩هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمَّد الدباغ-مطبعة مصطفى البابي الحلبي-(د.ت).

٧٦-شرح القصائد العشر/للخطيب أبي زكريا التبريزي (ت٥٠٢هـ)، تصحيح: عبد السلام الحوفي، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

٧٧-شرح المعلقات السبع/للحسين بن احمد الزوزني (ت ٤٨٦هـ) منشورات دار مكتبة الحياة.

٧٨-شرح القصائد المشهورة الموسومة بالمعلقات/ لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ط/١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

٧٩-شرح الكافية في النحو/ لرضي الدّين بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ط/١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٨٠-شرح المفصّل، لموفق الدين يعيش بن علي النحوي (ت ٦٤٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

-ص-

٨١-صحيح البخاري/ لمحمد اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق الدكتور: مصطفى ديب البغار، ط/٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٨٢-صفوة البيان لمعاني القرآن/ للشيخ حسنين محمد مخلوق، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

-ط-

٨٣-الطراز/ ليحيى لن حمزة العلوي(ت ٧٤٩هـ)-مطبعة المقتضب، ١٣٣٣هـ-١٩١٤م.

-ظ-

٨٤-ظاهرة التأويل في اعراب القرآن الكريم/للدكتور: محمد عبد القادر هنادي، ط/١، مكتبة الطالب الجامعي-مكة المكرمة-السعودية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

-ع-

٨٥-العنوان في القراءات السبع/ لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأندلسي (ت ٤٥٥هـ) تحقيق الدكتور: زهير زاهد والدكتور: خليل العطية، ط/١، عالم الكتب-بيروت، ١٩٨٥م.

-غ-

٨٦-غاية النهاية في طبقات القراء/لشمس الدين ابي الخير محمد لن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، عني بنشره: ج.برجستراسر، ط/٢، طبع دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.

-ف-

٨٧-الفائق في غريب الحديث والأثر/ لأبي القاسم محمودبن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، خبطه وعلق على حواشيه: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، القاهرة ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م.

٨٨-فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ)، مشر: عبد الحيّ علي محفوظ مطبعة العاصمة، (د.ت).

٨٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط/١، مطبعة البابي الحلبيّ-مصر، ١٣٥٠هـ.

٩٠-في أصول النحو/ لسعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي-بيروت، ١٤٠٧هـ.

-ق-

٩١-القاموس المحيط/لأبي محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر-بيروت، ١٩٧٨م.

٩٢-القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب/ لعبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان ١٤١٢هـ-١٩٨١م.

٩٣-القراءات القرآنية تاريخ وتعريف/ لعبد الهادي الفضلي، نشر: مكتبة دار المجمع العلمي بجدة، ١٣٩٩هـ.
٩٤-القراءات واثرها في التفسير والأحكام/لمحمد بن عمر سالم بن بازمُول، ط/١، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض-السعودية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٩٥-قراءات أهل البيت القرآنية/ للسيد مجيب الرفيعي، ط/١، دار الغدير-قُم (د.ت).
٩٦-قراءة حمزة بن حبيب الزيات (دراسة نحوية صرفية) للدكتور حمودي زين الدين المشهداني، ط/١، بغداد، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٩٧-قطر الندى وبل الصدى/لأبي محمد جمال الدين بن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين ع الحميد، ط/١، المكتبة العصرية، صيدا—بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

-ك-

٩٨-كتاب سيبويه/لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قمير (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون ط/٢، مطبعة المدني-مصر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٩٩-كتاب اللامات، لأبي الحسن علي بن محمد الهروي (ت ٤١٥هـ)، تحقيق: يحيى علوان البلداوي، ط/١، مكتبة الفلاح-الكويت، ١٩٨٠م.
١٠٠-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط/٢، دار احياء التراث العربي-بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٠١-كشف اصطلاحات الفنون/لمحمد علي الفاروقي التهاوني (ت ١١٥٨هـ)، تحقيق: لطفي عبد البديع-الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
١٠٢-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/لعبد الله حاجي خليفة-طبعة الأوفست، مكتبة المثنى-بغداد-(د.ت).
١٠٣-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي ابن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

١٠٤-الكليات/ لأبي البقاء اللغوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمود المصري دمشق، ١٩٦٧م.

-ل-

١٠٥-لسان العرب، لجمال الدين بن منظور الانصاري الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر-بيروت ١٩٦٨م.
١٠٦-لطائف الإرشاد لفنون القراءات/لشهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، تحقيق: عامر السيد عثمان وزميله، لجنة احياء التراث الاسلامي-القاهرة، ١٣٩٢هـ.
١٠٧-اللامات/لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق الدكتور: مازن المبارك. دمشق، ١٩٦٩م.
١٠٨-لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط/١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩م.

-م-

١٠٩- مجاز القرآن/ لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة-بيروت، (د.ت).
١١٠-مجمع البيان في تفسير القرآن/لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت...هـ) تحقيق: الحاج السيد باشم الرسولي المحلاتي، دار احياء التراث العربي-بيروت ١٣٧٩هـ.
١١١-مجمل اللغة/لأبن فارس (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
١١٢-محاسن التأويل/ لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط/١، دار احياء الكتب العربية، مصر، (د.ت).

١١٣-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها/ لأبي الفتح عثمان جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، لجنة احياء التراث- القاهرة، ١٣٨٦هـ.

١١٤-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية عبد الخالق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤١هـ) تحقيق: عبد الله إبراهيم الانصاري وعبد العال إبراهيم، ط/١، مؤسسة العلوم للطباعة والنشر ١٩٨٥م.

١١٥-مختار الصحاح/لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت ٦٠٦هـ) ضبطه وصححه: السيدة سميرة خلف المولى بيروت-لبنان، (د.ت).

١١٦-مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع/للحسين بن ابي احمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، عني بنشره: برجستراسر، دار الهجرة، القاهرة، ١٩٣٤م.

١١٧-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لحافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧٠١هـ) مطبعة عيسى اليابي الحلبي وشركائه (د.ت).

١١٨-المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز/لشهاب الدين عبد الرحمن اسماعيل أبو شامة (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق: طيار اكتي قولاج-دار صادر-بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١١٩-مسند الإمام احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ط/١، المكتب الإسلامي، دار صادر-بيروت ١٣٨٩هـ.

١٢٠-معالم التنزيل في التفسير/لأبي محمد حسين لن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ)، مطبوع بهامش تفسير الخازن المسمى: (لباب التأويل في معاني التنزيل)، المكتبة التجارية الكبرى-مصر-(د.ت).

١٢١-معاني الحروف/لأبي الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني (ت ٣٧٤هـ)، تحقيق الدكتور: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط/١، دار الشروق للنشر والتوزيع، السعودية ١٩٨٤م.

١٢٢-معاني القرآن/لأبي الحسن سعيد ين مسعدة الأخفش (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: فائز فارس، ط/٢، الكويت، ١٤٠١هـ-١٩٨٢م.

١٢٣-معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ):

الجزء الأول: تحقيق د: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مصر–دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.

الجزء الثاني: تحقيق د: محمد علي النجار، مصر–الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).

الجزء الثالث: تحقيق د: عبد الفتاح شلبي وعلي النجدي ناصف، مصر–الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

١٢٤–معاني القرآن وإعرابه/لأبي أسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط/١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

١٢٥–معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩م.

١٢٦–معجم الأدباء/لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) مطلعة دار المأمون–مصر–(د.ت).

١٢٧–معجم مصطلحات العروض والقوافي/ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، ط/٢، مطبعة جامعة بغداد، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

١٢٨–معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات واشهر القّراء د. أحمد مختار عمر ود. عبد العال سالم مكرم ط/٢، مطبوعات جامعة الكويت–الكويت ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

١٢٩–مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوورى، ط/١/ دار القلم–دمشق، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

١٣٠–مغني اللبيب عن كتب الاعاريب/لأبن هشام الانصاري، حققه وفصله وضبط غرائبه: محمد محيي عبد الحميد. مطبعة المدني–القاهرة (د.ت).

١٣١–مفتاح العلوم/لأبي يعقوب بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ط/١، نصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٩٣٧م.

١٣٢–مقدمة ابن خلدون/لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق الدكتور: علي عبد الواحد وافي "دون معلومات مشر".

١٣٣-المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة، ١٣٨٥هـ-١٣٨٨هـ.

١٣٤-منجد المقرئين ومرشد الطالبين/لمحمَّد محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، (د.ت).

١٣٥-الموجز الفريد في أحكام التجويد/لعبد الرؤوف عثمان احمد/راجعه الشيخ محمد شحاده الفول ط/٢، اصدار صندوق دعم الشريعة الاسلامية-الخرطوم-السودان،١٤١٥هـ.

١٣٦-الميزان في تفسير القرآن/لمحمد حسين الطباطبائي، بيروت ١٩٩٧م.

١٣٧-المذكر والمؤنث/لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق الدكتور: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب-المصرية، ١٩٧٠م.

-ن-

١٣٨-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)-المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر،(د.ت).

١٣٩-النحو الوافي/لعباس حسن، ط/٣، ١٩٦٩م.

١٤٠-نزهة الالباء في طبقات الأدباء/لأبن الأنباري، تحقيق الدكتور: إبراهيم السامرائي مطبعة المعارف-بغداد، ١٩٥٩م.

١٤١-النشر في القراءات العشر/ لأبي الخير محمد المشتهر بابن الجزري، راجعه وصححه: علي محمد الضياع. دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، (د.ت).

١٤٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، مطبعة حيدر آباد-الدكن، (د.ت).

١٤٣-النهر الماد/لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٥٤هـ) دار الفكر-بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، مطبوع بهامش البحر المحيط.

-هـ-

١٤٤-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع/ لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون والدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٣٩٤هـ-١٩٧٥م.

١٤٥-هداية القارئ إلى تجويد كلان الباري/ لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي،ط/١، ١٤٠٤هـ على نفقة محمد بن عوض بن لادن.

- و -

١٤٦-وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان/يشمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ت).

الرسائل الجامعية:

١-أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، رسالة ماجستير، خديجة محمد الصافي، كلية الآداب-الجامعة المستنصرية، ١٤٣٢هـ-٢٠٠٢م.

٢-الأوجه الإعرابية وعلاقتها بالمعنى في القراءات السبع/عبد العباس عبد الجاسم أحمد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ١٩٩٧م.

٣-التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تبيان العكبري، رسالة ماجستير، قاسم محمد أسود عبطان الحميري، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤-التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تفسير الطبري، رسالة ماجستير، جنان محمد مهدي العقيدي، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥-قراءة الأعمش (دراسة لغوية ونحوية)، جاسم محمد سهيل العاني، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٩٩٨م.
٦-قراءة شُعبة-الظواهر اللغوية والنحوية فيها، محمد عادل أحمد شوك، رسالة ماجستير، كلية الآداب-جامعة بغداد ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٧-المستنير في القراءات العشر/ابن سوار البغدادي (ت ٤٦٩هـ)، دراسة وتحقيق: عمار أمين الددو، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩٩م.

البحوث والدوريات

١-القراءات عند مكي بن ابي طالب القيسي، عبد الستار فاضل خضر النعيمي-مجلة آداب الرافدين-العدد السابع والعشرون-١٩٩٥م.
٢-محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري حمد-مجلة آداب الرافدين-العدد السابع والعشرون ١٩٩٥م.
٣-النحويون والقراءات القرآنية، زهير غازي زاهد-مجلة آداب المستنصرية، العدد الخامس عشر، ١٩٨٧م.